

هجرة الإخوة السبعة إلى ساحل بنادر وآثارها السياسية والحضارية

مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي

د. فيصل سيد طه حافظ (*)

• مقدمة

أدت الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا دورًا مهمًا في تشكيل حضارة تلك المنطقة اقتصاديًا، وسياسيًا، وثقافيًا، ذلك أن الإمارات والمراكز التي أنشأها العرب والمسلمون أسهمت إسهامًا إيجابيًا في نقل الحضارة والثقافة الإسلامية إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، وعلى الأخص في الساحل الصومالي، ومن ثم إلى الداخل.

تعد الشعوب العربية من أهم الشعوب التي اتصلت بساحل شرق أفريقية منذ القدم، وأبقاها أثرًا في تلك البقعة من القارة، وقد ساعد على ذلك عامل القرب الجغرافي، لأن العرب بصفة خاصة هم أقرب الشعوب دون غيرهم من شعوب آسيا، فهم يواجهون ساحل شرق أفريقيا، مما ساعد على كثرة التردد بين سواحل شبه الجزيرة العربية الجنوبية بصفة خاصة، وبين شرق أفريقيا، كما ساعد نظام الرياح الموسمية في المحيط الهندي على كثرة الهجرات؛ لأن العرب نظموا رحلاتهم وفقًا لنظام الرياح، فكانت لهم رحلتان في العام، وهناك العامل الأساسي الذي دفع العرب لارتداد سواحل شرق أفريقيا، كما دفع غيرهم من الشعوب الآسيوية وهو الأهمية الاقتصادية لهذا الساحل وما فيه من سلع وثروات.

تدفقت الهجرات العربية إلى الساحل الشرقي لأفريقيا في العصر الإسلامي لأسباب سياسية ودينية، فضلاً عن العامل الاقتصادي الذي كان مسيطراً على معظم الهجرات، وأشارت الروايات التاريخية إلى أن سواحل الصومال عرفت الإسلام منذ ظهوره، ومع ازدهار الإسلام وانتشاره، ازداد النشاط البحري، وتوافدت على سواحل الصومال مجموعات ضخمة من دعاة الإسلام من عرب وفرس وغيرهم، لإنشاء مراكز عربية إسلامية ثابتة لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية بين القبائل الإفريقية، وفي سواحل الصومال الشمالية والجنوبية المطلة على المحيط الهندي، بل استطاع العرب المسلمون التوغل إلى داخل هذه البلاد لنشر الإسلام واللغة العربية بين قبائل الداخل.

وبدأت الهجرات العربية لنشر الإسلام في الساحل الشرقي الأفريقي منذ عهد الخلفاء الراشدين، وازدادت أيام الأمويين والعباسيين.

تعد هجرة الإخوة السبعة إلى ساحل بنادر في أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي واحدة من أهم الهجرات العربية إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، فقد كان لهذه الهجرة آثار بعيدة المدى في تاريخ المنطقة، وفي تطور العلاقات العربية الأفريقية مع الساحل الشرقي لأفريقيا.

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بجامعة بني سويف والكويت

ينتمي الإخوة السبعة إلى قبيلة الحارث العربية وخرجوا على رأس جماعة من أنصارهم على متن ثلاث سفن من منطقة الإحساء المطلة على الخليج العربي، وهبطوا على الساحل الشرقي لأفريقيا عند شاطئ بنادر، وامتد نفوذهم حتى جنوب ممبسة، وإليهم يرجع الفضل في تأسيس مشيخة مقدشيو التي تزعمت الساحل الشرقي لأفريقيا لفترات طويلة، كما يرجع إليهم الفضل في تأسيس مدينة براوة.

تميز ساحل بنادر في عهد الإخوة السبعة بوجود نظم راقية للحكم والإدارة، والتي لا تختلف كثيرًا عن النظم التي وجدت في معظم دول العالم الإسلامي آنذاك خاصةً في شبه الجزيرة العربية، إلا أنها تعكس مدى الانصهار والتفاعل الذي حدث بين الوافدين العرب والسكان الأصليين للبلاد، فنتج عن ذلك شكل خاص ومميز للحياة السياسية لساحل بنادر في تلك الفترة، وهو شكل يجمع بين الطابعين العربي والصومالي.

تهدف الدراسة إلى كشف الغموض حول أصل الأخوة السبعة، وهل هم من حرث عمان؟ كما ذكر بعضهم - أم أنهم من حرث تميم الذين سكنوا الإحساء منذ قبل الإسلام، كما تهدف الدراسة إلى إبراز هجرة الإخوة السبعة إلى ساحل بنادر، ودورهم السياسي والحضاري في تلك البلاد.

تركز الدراسة على الفترة الممتدة من هجرة الإخوة السبعة في ساحل بنادر مطلع القرن الرابع الهجري وحتى (495هـ/ 1101م) وهي فترة حكم للإخوة السبعة لساحل بنادر من خلال تأسيسهم مشيخة مقدشيو، واستمرار الحكم في أولادهم من بعدهم حتى عم الضعف في مشيخة مقدشيو، نتيجة الانقسام الداخلي حتى إذا جاء الشيرازيون (الفرس) إلى الساحل، وتمكنوا من السيطرة على العديد من إمارات الساحل.

تكمن مشكلة الدراسة في قلة المصادر المتناولة لتاريخ ساحل بنادر في فترة الدراسة، وفقدان الوثائق التاريخية والمخطوطات العلمية، وانقراض هائل للرواية التاريخية المتناقلة عبر العصور والأجيال، ولم تعطنا المصادر تاريخ محدد لهجرة الإخوة السبعة إلى ساحل بنادر - غير أنها كانت أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي - كما لم تعطنا معلومات عن أسماء الإخوة السبعة ولا أسماء أبنائهم الذين حكموا من بعدهم، ولا معلومات كافية عن سنوات حكمهم وكيف انتهى نفوذهم السياسي في ساحل بنادر، إلا النذر اليسير. والكتابة في مثل هذا الموضوع تحتاج إلى نوع من الجهد والصبر، والبحث في ثنايا المصادر وأمهات الكتب؛ حتى يتمكن الباحث من عرض صورة واضحة لموضوع الدراسة.

ومن الدراسات السابقة في هذا الموضوع:

- راجية محمد عفت: الثقافة العربية في شرق أفريقيا، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1980م.

- رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية منذ ظهور الإسلام حتى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية، 1419هـ/ 1999م.
- رجب محمد عبد الحليم: العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين، مسقط، 1410هـ/ 1989م.
- سعيد بن سالم النعماني: الهجرات العمانية إلى شرق أفريقيا في القرن الهجري الأول والرابع والسابع، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1430هـ/ 2009م.
- صالح علي محمود: صفحات من تاريخ مقدشيو، مركز مقدشيو للبحوث والدراسات، (د.ت).
- غيثان بن علي بن جريس: العرب وأثرهم في الأوضاع السياسية والثقافية في مقدشيو في العصور الوسطى، مجلة العرب، العدد الثالث، 2007م.
- هيفاء بنت أحمد المعمرى: العمانيون ودورهم الثقافي في شرق أفريقيا، المؤتمر الدولي "الدور العماني في الشرق الأفريقي"، المجلد الثاني، مركز الدراسات العمانية، جامعة السلطان قابوس، هيئة الوثائق والمحفوظات العربية، مسقط، 2013م.

وتدور محاور الدراسة حول النقاط التالية:

- أولاً: التعريف بالإخوة السبعة.
- ثانياً: الإخوة السبعة في ساحل بنادر.
- ثالثاً: الدور السياسي والحضاري للإخوة السبعة في ساحل بنادر.

أولاً: التعريف بالإخوة السبعة:

تعد هجرة الإخوة السبعة إلى شرق أفريقيا من أهم الهجرات العربية في أواخر القرن الثالث الهجري الهجري/ التاسع الميلادي، التي خرجت من إقليم الأحساء على الخليج العربي إلى ساحل بنادر⁽¹⁾ في الصومال.

ينتمي الإخوة السبعة إلى قبيلة الحارث العربية، وحول انتمائهم لتلك القبيلة دار جدل بين بعض المؤرخين، فمنهم من رأى أن الإخوة السبعة ينتمون إلى قبيلة بني الحارث العمانية، وأنهم هاجروا من عمان إلى الأحساء قبل هجرتهم من الأحساء إلى شرق أفريقيا⁽¹⁾.

(1) ساحل بنادر: المفرد بندر، وهي المنطقة من جنوب زيلع في خليج عدن، وينتهي جنوباً عند رأس شيموني أو كمبولي، وقد عرف هذا القسم باسم ساحل بنادر لقيام مدن تجارية على شاطئه، ويشمل موانئ مركة، وبروة، ومقدشيو، والأراضي المحيطة، وعرف سكان هذه الجهات باسم سكان بنادر، كما عرفت بضائعهم باسم بضائع بنادر وهو ما يعرف حالياً بالصومال الجنوبي. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ/ 1998م، ص61، 138.

وهناك من يرى أن الإخوة السبعة ليس لهم علاقة بحرث عمان، وإنما هم من بني الحارث الذين استوطنوا الكثير من المناطق - منذ قبل الإسلام - منها الأحساء (2).

ومما يزيد الأمر تعقيداً أن المسعودي الذي زار ساحل بنادر في القرن الرابع الهجري لم يذكر شيئاً عن نسب الإخوة السبعة سوى أنهم ينتمون إلى قبيلة الحارث العربية وأنهم خرجوا من الأحساء، حيث ذكر أنهم: "سبعة أخوة من قبيلة الحارث العربية" (3).

وهناك عدة تساؤلات حول نسب الإخوة السبعة - منها: "هل هؤلاء الحرث عمانيون أصلاً؟ أم أنهم كانوا من غير عمان؟ وإذا كانوا من عمان فكيف وصلوا إلى الأحساء؟ ومتى؟ وكيف تحركوا إلى ساحل شرق أفريقيا؟ ولماذا؟ (4)، وذكروا أن أول ما يتبين أن هؤلاء الحرث كانوا فعلاً من عمان، وأنهم كانوا امتداداً أو بطناً من بطون قبيلة الحرث التي كانت تعيش في عمان، ولا زالت موجودة فيها حتى الآن، وذكر أن بني الحارث أو الحرث (بضم الحاء) إما أنهم ينتمون إلى الأزد في عمان من بني الحارث بن مالك بن فهم (5)، أو من بني الحارث بن كعب بن اليمد من أزد شنؤة الذين سكنوا المنطقة الشرقية بعمان (6)، وإما أنهم ينتمون إلى قبائل نزارية من غير الأزد سكنت عمان خاصة في الجزء الشمالي منها؛ حيث تقع مواطن النزاريين، وخاصة من بني ناجية من ولدي سامة بن لؤي، والذين كانوا من أقوى القبائل من غير الأزد في عمان (7).

(1) رجب محمد عبد الحليم: العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين، مسقط، 1410هـ/1989م، ص210؛ هيفاء بنت أحمد المعمرى: العمانيون ودورهم الثقافي في شرق أفريقيا، المؤتمر الدولي "الدور العماني في الشرق الأفريقي"، المجلد الثاني، مركز الدراسات العمانية، جامعة السلطان قابوس، هيئة الوثائق والمحفوظات العربية، مسقط، 2013م، ص88.

(2) سعيد بن سالم النعماني: الهجرات العمانية إلى شرق أفريقيا في القرن الهجري الأول والرابع والسابع، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1430هـ/2009م، ص50.

(3) المسعودي (أبو حسن على بن الحسين المسعودي، ت 346هـ/957م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م، ص106.

(4) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص210.

(5) نفسه.

(6) سالم بن حمود السيابي: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، 1384هـ/1964م، ص90.

(7) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص210؛ هيفاء المعمرى: المرجع السابق، ص88؛ Wilkinson, (J.C): The early development of the Ibadī movement in Basra. "Studies in the first country of Islamic society, V.5, Edited by G.H.Juynboll, America, p.140.

جدير بالذكر أنه لا يمكن التمييز بين حرث نزار وحرث الأزدي في عمان لتداخل بعض القبائل بعضها مع بعض، وقد عد القلقشندي ثمانية وعشرين بطناً كلهم يسمون بني الحارث بعضهم ينتمي إلى القحطانية، وعددهم خمسة عشر، وباقيهم ينتمي إلى العدنانية⁽¹⁾.

وأشار أصحاب هذا الرأي أن بني الحارث كانوا يسكنون الباطنة⁽²⁾، وما بين صحار ودبا⁽³⁾، وكانوا مؤيدين لزعماء النزاريين في صراعهم مع اليمينية في عمان⁽⁴⁾، كما تواجد الحرث في إبراز بالمنطقة الشرقية في عمان، وأنهم تعرضوا للهجوم من قبل الجلنديين، وذلك في إطار الصراع بين النزارية وبين اليمينية في عمان عام (145هـ/762م)⁽⁵⁾، كما تعرض حرث الباطنة ومن معهم من النزاريين للهجوم من قبل قوات الإمام عزان بن تميم⁽⁶⁾ عام (278هـ/891م) في إطار النزاع الناشب بينهم وبين أزد عمان، فحلت الهزيمة بهم، وأن الحرث وغيرهم من النزاريين كانوا مرغمين على ترك عمان، والهجرة إلى أماكن أخرى⁽⁷⁾.

ويرى أصحاب هذا الرأي أن الحرث سواء كانوا من الذين هزموا في عام (145هـ/762م) أم عام (273هـ/889م)، وعام (278هـ/891م)، فإنه لا يستبعد أمام هذه الهزائم المتكررة أن يرحل بعضهم إلى الأطراف الشمالية الغربية من عمان، وأن يستقروا في منطقة الأحساء بعيداً عن هذا الصراع الدامي⁽⁸⁾، وقد ساعدهم على هجرتهم إلى الأحساء قبل هجرتهم إلى شرق أفريقيا أن حدود عمان كانت تمتد إلى

-
- (1) القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، ت 821هـ/1418م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص54.
 - (2) الباطنة: تعرف باسم ساحل الباطنة، وتحتل موقعاً جغرافياً حيوياً على ساحل خليج عمان، تمتد من حطمة ملاحه شمالاً إلى رأس الحمراء جنوباً، وتتحصر بين سفوح جبال الحجر غرباً، وخليج عمان شرقاً. سعيد سالم المعمري: سلطنة عمان تاريخ وحضارة، الطبعة الأولى، مكتبة النفائس، مسقط، 2009م، ص206.
 - (3) دبا: تتصل من جهة الشرق بخليج عمان، ومن جهة الشمال بقرى ولاية خصب ومضيق هرمز، وتعد أحد الأسواق التجارية القديمة التي اشتهرت قبل الإسلام، وتقع حالياً في الجنوب الشرقي من محافظة سندهم. سعيد المعمري: المرجع السابق، ص194.
 - (4) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص211.
 - (5) نور الدين السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج1، القاهرة، 1350هـ/1931م، ص107.
 - (6) الإمام عزان بن تميم: هو عزان بن تميم الخروصي، تولى الإمامة في عمان من (277-280هـ/890-893م)، تضاعف النزاع القبلي في البلاد في عهده، وتعرضت للفوضى والحرب الأهلية، وقتل عام (280هـ/893م)، وبمقتله سقطت الإمامة الإباضية الثانية. فاروق عمر فوزي: دراسات في تاريخ عمان، منشورات جامعة آل البيت، الأردن، 1421هـ/2000م، ص182؛ يوسف بديوي: تاريخ عمان بين القديم والحديث، الطبعة الأولى، مكتبة الصفا، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1429هـ/2008م، ص106، 107.
 - (7) مايلز: الخليج بلدانه وقيانله، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، 1406هـ/1986م، ص88؛ رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص212.
 - (8) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص212.

مشارف الأحساء والبحرين وقطر في ذلك الحين⁽¹⁾، وأن حدود عمان قبل الإسلام كانت تمتد لتتداخل مع حدود البحرين بمفهومها القديم الذي كان يشمل الأحساء⁽²⁾، ولذلك فإن تحرك بعض بطون الحارث من عمان إلى منطقة الأحساء كان أمرًا عاديًا وطبيعيًا تحت ظل هذا الحكم المشترك أحيانًا، وفي ظل تداخل الحدود غير الفاصلة بين عمان وهذه البلدان؛ إذا كانت عمان تتصل بالبحرين وما خلفها بحرًا وبريًا دون عائق طبيعي أو جغرافي، وإن كان الطريق البحري هو الطريق المفضل بسبب غلبة الرمال على الطريق البري وبسبب تنازع القبائل المقيمة حول هذا الطريق⁽³⁾.

مع أن أصحاب هذا الرأي لم يحددوا إلى أي حرث ينتمي الإخوة السبعة، هل إلى حرث الأزد؟ أم إلى الحرث النزاريين؟ ولم يحدد أيضًا في أي عام هاجر الحرث من عمان إلى الأحساء؟ فنجد أحد الباحثين⁽⁴⁾ الباحثين⁽⁴⁾ يسير على هذا الرأي بل ويحدد انتماء الإخوة السبعة إلى حرث الأزد؛ حيث ذكر أنهم ينتمون إلى قبيلة الحرث العربية العمانية الأصل التي هاجرت من الأحساء إلى شرق أفريقيا⁽⁵⁾، وذكر أن الحرث ينتمون إلى الأزد في عمان إلى فهم من بني حارث بن مالك بن فهم أو من بني الحارث بن كعب من أزد شنوة الذين سكنوا منطقة الشرقية في عمان⁽⁶⁾. ويحدد توقيت هجرة الحرث الأولى من عمان إلى منطقة الأحساء، بعد الأعمال التخريبية التي قام بها محمد بن نور⁽⁷⁾ والي البحرين في عمان، حتى أطلق عليه العمانيون تسمية "محمد بن بور"، وفرت هذه القبائل شمالاً صوب الأحساء، ولكن الضغط الذي مارسه جماعات القرامطة بعد قيام دولتهم عجل برحيل الحرث إلى شرق أفريقيا في أواخر القرن الثالث الهجري

(1) نفسه.

(2) السيابي: العنوان عن تاريخ عمان، نشر على نفقة محمد بن عيسى الحارثي، (د.ت)، ص146.

(3) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص215.

(4) جمعة بن خليفة البوسعيدي: الهجرات العمانية المتعاقبة وتأثيرها داخل المحيط الأفريقي، المؤتمر الدولي "الدور العماني في شرق أفريقيا"، المجلد الأول، مركز الدراسات العمانية، جامعة السلطان قابوس، وهيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، مسقط، 2013م، ص25

(5) نفسه.

(6) الفلقشندي: المصدر السابق، ص54.

(7) تعرضت الإمامة الإباضية الثانية في عمان سنة (273هـ/ 885م) لأحداث أثرت على مركزها السياسي في عمان بالسلب؛ حيث قام الفقيه موسى بن موسى بن جابر الأزكوي بعزل الإمام الصلت بن مالك بحجة أن الأخير قد عجز عن القيام بالمسؤوليات المترتبة عليه كإمام بسبب كبر سنه، وتعد هذه الحادثة منعطفًا مهمًا في تاريخ الإمامة الإباضية الثانية، فقد أدت إلى انقسامات عقائدية بين الفقهاء والعلماء الإباضية تحولت في النهاية إلى حرب أهلية بين القبائل اليمنية والنزارية في عمان، وأسفرت عن تلك الفتن عن هزيمة نكراء للنزاريين الذين طلبوا المساعدة من الخلافة العباسية التي قامت بدورها، وطلبت من محمد بن نور الوالي العباسي في البحرين أن يساعد النزاريين، فما إن دخل بقواته عمان، وعاث في الأرض فسادًا، وانتقم من أهل عمان، وقام بالعديد من الأعمال التخريبية. انظر السالمي: المصدر السابق، ج1، ص204 وما بعدها.

وبداية القرن الرابع، وتحديداً في الفترة الواقعة بين (291هـ / 903م)، وبين (301هـ / 913م)⁽¹⁾، واستند أصحاب هذا الرأي إلى ما ذكره المؤرخ العماني السالمي: "أن الحرث كانوا يسكنون الباطنة في عمان وما بين الباطنة ودبا، وكذلك سكنوا الأحساء، وتعرضت كل من عمان والأحساء لظروف تاريخية متشابهة من قبل القرامطة⁽²⁾، وكان ذلك في نهاية القرن الثالث الهجري وهي الفترة التي هاجروا فيها إلى شرق أفريقيا، والتي تواكبت بعد هجرة سعيد وسليمان ابني الجلندي⁽³⁾، حيث أصبحت مقدشيو⁽⁴⁾ قبلة للعمانيين من الحرث⁽⁵⁾.

وعلى الجانب الآخر هناك فريق من الباحثين⁽⁶⁾، يعارض فكرة أن الإخوة السبعة الذين ينتمون إلى قبيلة الحارث، وهاجروا من الأحساء بين سنتي (291هـ / 903م)، و(301هـ / 913م)، واتجهوا إلى ساحل بنادر في شرق أفريقيا، أنهم من أصول عمانية.

ويتساءل أصحاب هذا الاتجاه كيف يكون الإخوة السبعة عمانيين، وقد هاجروا من الأحساء؟ وهل يمكن أن يكون هاجروا أولاً من عمان إلى الأحساء، ثم من الأحساء إلى ساحل بنادر؟ كما يري أصحاب هذا الرأي . ولماذا الهجرة إلى الأحساء؟ هل كانت الأحساء في تلك الآونة واحة أمن وأمان، ومحل جذب للباحثين عن الطمأنينة، أم إنها بخلاف ذلك؟ ومن هؤلاء الحرث العمانيون؟ وما مكانتهم في المجتمع العماني؟ هل هم ملوك أم زعماء قبليون؟ وأين كانوا يقيمون في عمان قبل هجرتهم إلى الأحساء؟ وما هي بواعث هجرتهم؟ وهل تعرضوا للاضطهاد؟ أو جاءوا لغزو؟⁽⁷⁾

(1) البوسعيدي: المرجع السابق، ص25.

(2) السالمي: المصدر السابق، ج1، ص108.

(3) سعيد وسليمان الجلنديان: ينتمي سعيد وسليمان ابني الجلندي إلى قبيلة الأزدي، وكانا حكام عمان، وثاروا ضد الخليفة عبد الملك بن مروان، ولكن تغلبت عليهم قوات الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (74هـ / 694م)، فهرب سليمان وسعيد مع أنصارهما إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، ونجح الأخوان في تأسيس إمارة عربية عام (83هـ / 702م)، ولقد أسهم أفراد هذه القبيلة إسهاماً إيجابياً في نقل الثقافة الإسلامية إلى تلك الجهات، وقاموا بدور فعال في نشر الدعوة الإسلامية بين القبائل الصومالية. ابن الأثير (علي بن أحمد بن أبي الكرم): الكامل في التاريخ، ج4، دار صادر، بيروت، 1983م، ص203؛ رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص200.

(4) مقدشيو: اختلف البعض في ضبط اسم مقدشيو، فهناك من ضبطها مقدشيو، وهناك من ضبطها مقدشيو، وثالث مقدشيو، ورابع مقدشا، غير أن النطق الشائع والمشهور عند أهل الصومال في العصر الحديث هو بضم الميم وسكون القاف وكسر الدال وضم الشين المعجمة مع سكون الواو. صالح علي محمود: المرجع السابق، ص8؛ جامع عمر عيسى: المرجع السابق، ص17.

(5) البوسعيدي: المرجع السابق، ص25، هامش2.

(6) سعيد النعماني: المرجع السابق، ص142.

(7) نفسه.

وضع أصحاب ذلك الرأي تلك التساؤلات السابقة أمام الفريق القائل بأن الإخوة السبعة ينتمون إلى حرث عمان، وأنهم هاجروا إلى الأحساء قبل هجرتهم إلى ساحل بنادر في شرق أفريقيا.

الحقيقة أن المنتبغ لتاريخ عمان⁽¹⁾ في الفترة التي سبقت هجرة الإخوة السبعة من الأحساء إلى ساحل البنادر لا يستطيع أن يجد أية إشارات لا من قريب أو بعيد تؤكد أن الحرث الذين ينتمي إليهم الإخوة السبعة هم في الأصل من حرث عمان، كما أنه لا توجد إشارات عن هجرات عمانية من الأساس إلى الأحساء في الفترات التي أشار إليها أصحاب الرأي الأول، وهي عام (145هـ/762م)، أو عام (278هـ/891م)، وذلك في إطار النزاع الداخلي الناشب في عمان⁽²⁾.

لذلك لا يمكن الجزم بأن هناك هجرة حارثية، قد حدثت بفعل تلك الأوضاع المضطربة؛ لأن الوقائع المدونة عن تلك الفترة لا يوجد بينها ما يشير إلى هجرة عمانية إلى الأحساء، حتى يمكننا القول أن يكون الحرث الذين هاجروا من الأحساء إلى شرق أفريقيا هم من رجال الحرث العمانيين.

جدير بالذكر أن المنتبغ للمصادر العمانية سيجد أن هناك أسراً عمانية سمتها بأسمائها فرت من عمان إلى بلدان سمتها المصادر أيضاً، لكن الأحساء ليست من بينها، كما لم يرد ذكر لأسرة حارثية ضمن الأسر التي قيل بأنها فرت نتيجة للأوضاع المضطربة⁽³⁾، ولقد ذكر أصحاب الرأي الأول أن الإخوة السبعة ينتمون إلى قبيلة الحرث، وأنهم يرجعون في نسبهم إلى حرث عمان، مفترضاً أنهم إما أن يكونوا

(1) مرت عمان خلال القرن الثالث الهجري بحروب أهلية طاحنة، حينما استأثر العالم موسى بن موسى السامي - ينتمي إلى نزار - بسلطة الحل والعقد، فخلع الإمام الصلت بن مالك الخروصي، وعفدها لراشد بن النظر عام (272هـ/885م)، دون النظر لآراء العلماء المخالفين له في الرأي، الأمر الذي أدى بجماعة من أصحاب العلم من قبائل مالك بن فهم، والحمد والعقيل - كلها قبائل قحطانية - لأن يتنادوا ويتوجهوا إلى نزوى - مقر الإمام الجديد - لعزله. فقد أدى ذلك إلى اندلاع رحى الحرب بين الطرفين، وتحول الأمر من صراع ديني إلى صراع قبلي بين القبائل القحطانية والقبائل النزارية، وشهدت عمان حرب أهلية، كانت من أشهر معاركها "وقعة الروضة" و"وقعة إزكي"، والتي أسفرت عن مقتل العالم موسى بن موسى عام (278هـ/891م)، الأمر الذي أدى إلى اشتعال الحرب، ثم كانت موقعة القاع والتي هُزم فيها النزاريين، وقتل عدد كبير منهم؛ الأمر الذي جعلوهم يلجأون إلى الدولة العباسية، ومحمد نور الوالي العباسي على البحرين لم يساندهم لثأروا لهزيمتهم في عمان.

استجاب الخليفة المعتضد بالله العباسي (279-289هـ/م) لنداء النزاريين في عمان؛ لأنه وجد في ذلك فرصة لتستعيد الخلافة العباسية سيطرتها على عمان مرة أخرى، فأمر عامله على البحرين محمد بن نور لمساندة النزاريين في حروبهم ضد القحطانية في عمان، وعلى الفور دخلت قوات محمد بن نور، وصاحب دخوله دمار وخراب لحق بجميع أهل عمان، حيث اعتادت المصادر العمانية على تسميته "محمد بن بور وأحياناً "محمد بن ثور" تعبيراً لما حل ببلادهم من خراب ودمار علي يديه، وعلى أثر تلك الأحاديث هاجر الكثير من أبناء عمان للبحث عن الأمن والأمان، فمنهم من هاجر إلى فارس، والبصرة، وشرقي أفريقيا. العوتبي: الأنساب، ج2، ص319؛ السالمي: المرجع السابق، ج1، ص145.

(2) النعماني: المرجع السابق، ص142.

(3) النعماني: المرجع السابق، ص147.

من الحرث الأزديين، أي من بني الحارث بن مالك بن فهم، أو من بني الحارث بن كعب بن اليمد، إما أن يكونوا من الحرث النزاريين، أي من بني ناجية من ولد سامة بن لؤي، وذلك باعتبار أن الطوائف الثلاث موجودة في عمان لكنه عقب قائلاً أنه: لا يمكن التمييز بين حرث نزار وحرث الأزدي⁽¹⁾.

عارض أصحاب الرأي الثاني قائلين أن: "الحرث الموجودين في عمان لا يعرفون إلا بكونهم من سلالة الحارث بن كعب اليمد؛ وقد كان لهم القدم الراسخ في شرقية عمان"⁽²⁾، واستندوا في ذلك على كلام المؤرخ والنسابة العماني السيابي الذي أكد أن أكبر كثافة سكانية لهذه القبيلة الكبيرة توجد في ولايتي القابل وإبراء من المنطقة الشرقية من عمان⁽³⁾.

وذكروا أن الشهرة التي اكتسبها الحرث اليمديون كانت عاملاً قوياً لينصهر فيهم الحرث الآخرون، وليختفي بذلك أي نسب حارثي آخر؛ بحيث لم يعد أحد في عمان يعرف بوجود حرث غير حرث اليمد⁽⁴⁾، إضافة إلى ذلك أن كتب الأنساب العمانية وأشهرها إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان للسيبابي وملاحم من التاريخ العماني، لسليمان بن خلف الخروصي وكلاهما لم يذكر نسباً للحرث في عمان غير نسب حرث اليمد⁽⁵⁾.

كما أن المصادمات التي كانت تجري في عمان لم تكن تجري بين قبيلة وقبيلة، وإنما كانت بين تيار فقهي وتيار فقهي مضاد، وتحت كلا التيارين تتخرط قبائل كثيرة، وكان قادة التيارين من العلماء الكبار في زمانهم، وعلى ذلك لم يكن هناك استهداف لقبيلة بعينها، وحتى لو كانت تلك المصادمات نشأت بسبب قبلي، فلا يوجد في تاريخ تلك الفترة ذكر نو شأن للحرث، بحيث يكونوا مستهدفين كقبيلة، ولذلك لا يوجد ربط بين تلك المصادمات وبين هذه الهجرة التي عدها بعضهم أنها من حرث عمان⁽⁶⁾.

إضافة إلى ما سبق افتراض أن أولئك المهاجرين الأحسائيين من حرث عمان، يعزوه الإشكال من وجوه أخرى، فالإشارة إلى هجرتهم من عمان إلى الأحساء يفترض أنها كانت إما سنة (145هـ/762م) أو سنة (278هـ/891م) من عمان إلى الأحساء في حين أن هجرتهم من الأحساء إلى شرق أفريقيا كانت ما بين عام (291هـ/903م) وعام (301هـ/913م)، وتبقى هناك ملاحظات على هذا الكلام: أولاً يصعب تحديد تاريخ دقيق لهجرة هؤلاء الحرث من عمان إلى الأحساء التي لم تكن آمنة في ذلك الوقت،

(1) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص210.

(2) النعماني: المرجع السابق، ص148.

(3) السيابي: المرجع السابق، ص114.

(4) النعماني: المرجع السابق، ص148.

(5) النعماني: المرجع السابق، ص148، هامش(1)؛ يمكن مراجعة السيابي: المرجع السابق؛ وأيضاً مراجعة سليمان الخروصي: ملاحم من التاريخ العماني، الطبعة الثانية، مسقط، 1995م.

(6) النعماني: المرجع السابق، ص148، 149.

وإن كانوا يبحثون عن الأمن والأمان لما لم يتوجهوا إلى شرق أفريقيا مباشرة كما فعل قبلهم غيرهم من العمانيين، ولو كان الحرث عمانيين لماذا لم تذكرهم المصادر العمانية وتذكر هجرتهم كما ذكرت غيرهم مثل هجرة الجلنديين إلى شرق أفريقيا⁽¹⁾.

أفادت روايات هجرة الحرث الإحسانيين بأنهم سبعة أخوة من زعماء قبيلة الحارث العربية، وفي هذا دلالة على أنهم أصلًا من الأحساء، وأن زعامتهم هناك تأثرت بالصراعات الدامية التي شهدتها إقليم البحرين في تلك الفترة، ومعروف أن الأحساء كانت مركزًا لذلك الإقليم الذي عاث فيه القرامطة فسادًا، وارتكبوا من الجرائم التي نالت الناس والمقدسات كما هو معروف ومشهور في كتب التاريخ؛ حيث كانت الأحساء في ذلك الوقت لم تكن مطمحًا للمهاجرين الفارين من الاضطهاد، لأنها كانت بؤرة للصراع السياسي والديني الدائر - في ذلك الوقت - بين العباسيين من جانب وبين القرامطة من جانب آخر، ذلك لقربها من مركز الخلافة العباسية في بغداد⁽²⁾.

خلاصة ما سبق: أن الحرث الذين هاجروا من الأحساء إلى بنادر لم يكونوا من حرث عمان، أي ليسوا من الأزدي، بل هم من حرث الأحساء أصلًا حيث يتواجد هناك عدد من بطون الحرث العدنانية، وتحديدًا من قبيلة تميم⁽³⁾. فمن المعروف أن قبيلة تميم من القبائل العدنانية، وهي تنسب إلى تميم بن مر بن أد بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ولتميم أكثر من بطن حارثي منهم بنو الحارث بن تميم، وبنو الحارث بن عمرو بن تميم، وبنو الحارث بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم⁽⁴⁾، وبنو الحارث الأعرج بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم⁽⁵⁾، وذكر ياقوت أن بني الحارث بن كعب كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم سكنوا منطقة "الهداز" باليمامة، وذلك بعد أن سبي خالد بن الوليد أهلها وأسكنها بني الحارث بن كعب، فهم أهلها إلى الآن⁽⁶⁾، أي إلى فترة القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ووذکر السويدي من بطون تميم أيضًا بنو الحارث بن العنبر بن عمرو بن تميم⁽⁷⁾،

(1) نفسه، ص 149.

(2) نفسه، ص 149، 150.

(3) نفسه، ص 150.

(4) ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص 207.

(5) ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت البغدادي، ت 626هـ / 1228م): معجم البلدان، ط 1، ج 5، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ / 1990م، ص 394.

(6) نفسه، النعماني: المرجع السابق، ص 150.

(7) السويدي (أبو الفوز محمد أمين البغدادي): سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 90؛ النعماني: المرجع السابق، ص 150.

وكان في هذه البطون رؤساء وأمراء، ومن منازلهم الدهناء والأحساء⁽¹⁾، وهذا ما يؤكد أن الإخوة السبعة الذين هاجروا من الأحساء إلى ساحل بنادر، هم من أمراء الحرث التميميين الأحسائيين، وقد هاجروا فراراً من الأوضاع المضطربة التي شهدتها الأحساء في فترة القرنين الثالث والرابع الهجريين⁽²⁾.

ثانياً: هجرة الإخوة السبعة إلى ساحل بنادر:

يعد قيام دولة القرامطة في البحرين واتخاذ الأحساء عاصمة لها سبباً مباشراً لهجرة الإخوة السبعة من الأحساء خاصة وأنهم كانوا من أهل السنة وموالين للخلافة العباسية، وقد مارس القرامطة ضغوطاً شديداً بالإضافة إلى الأعمال الوحشية التي مارسوها في كل مكان حلوا به، مما جعل الإخوة السبعة يضطرون إلى ترك ديارهم في الأحساء بحثاً عن العيش في مكان أكثر أمناً⁽³⁾.

ولكن ما هي الأسباب التي دفعت الإخوة السبعة إلى اختيار شرق أفريقيا وتحديداً ساحل بنادر داراً لهجرتهم؟

عرف العرب شرق أفريقيا منذ قبل الإسلام؛ حيث كانوا من أقدم الشعوب التي كان لها اتصال مباشر بالسواحل الشرقية لأفريقيا بحكم الجوار الجغرافي، وساعدهم على قيام هذه الصلات نظام الرياح الموسمية، إذ كانت السفن الشراعية الصغيرة المعروفة "الداو"⁽⁴⁾ تتمكن من القيام برحلتين على الأقل في العام، ففي الخريف تدفعها الرياح الموسمية الجنوبية الغربية من سواحل الجزيرة العربية الجنوبية نحو

(1) عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412هـ/ 1991م، ص126؛ النعماني: المرجع السابق، ص150.

(2) النعماني: المرجع السابق، ص151. بالإضافة إلى ما سبق ذكره في متن البحث فإنه لم يرد ذكر في المصادر العمانية أي ذكر لهجرة حارثية من عمان باستثناء دراسة حديثة أعدتها الباحثة كوليت ميزون سنة 1976م بعنوان: "هجرات الحرث إلى أواسط القارة الأفريقية، ومنشورة ضمن سلسلة تراثنا العدد (61)، إصدار وزارة التراث القومي والثقافي في سلطنة عمان نوفمبر 1984م، وهذه الدراسة لا صلة لها بهجرة الحرث الأحسائيين، وإنما هي دراسة ميدانية لواقع قبيلة الحرث العمانية؛ ذلك بهدف المساهمة في تخليد القصص الأسطورية للتجار العرب ونشاطهم في أفريقيا فيما بين القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وبذلك تكون هذه الدراسة غير ذات صلة بهجرة الحرث الأحسائيين لا زمنياً ولا موضوعاً ولا مكاناً، فمن ناحية المكان فدراسة ميزون هي وسط أفريقيا وتحديداً رواند وبروندي، ونحن هنا نتحدث عن هجرة في ساحل بنادر في الصومال، ومن ناحية الموضوع فدراسة ميزون تدرس أنماط الحرث العمانيين الاجتماعية والسكانية، بينما هنا دراسة تاريخية لأسرة محددة لا شأن لها في التاريخ، ومن ناحية الزمان فدراسة ميزون = محصورة في فترة حديثة جداً من العصر الحديث، في حين أن هجرة الأحسائيين ترجع إلى فترة من العصر الوسيط تقع بين نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع، وهكذا يتضح الفرق الشاسع بين الدراستين. النعماني: المرجع السابق، ص151.

(3) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص216.

(4) رأفت غنيمي الشيش: دور عمان في بناء حضارة شرق أفريقيا، حصاد ندوة الدراسات العمانية، المجلد الثالث، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1400هـ/ 1980م، ص146، 147.

الساحل الأفريقي الشرقي، وفي فصل الربيع تدفعها في اتجاه شمال شرقي يمكنها من العودة إلى قواعدها⁽¹⁾، ورغم عدم توغل العرب - الذين وفدوا إلى الساحل الشرقي لأفريقيا قبل هجرة الإخوة السبعة - داخل أفريقيا فإنهم اختلطوا بسكان الساحل، وتزوجوا من نساء القبائل الإفريقية⁽²⁾، ومن ثم وصفهم البعض بأنهم ألفوا أهل البلاد⁽³⁾، كما يرى البعض أن ازدياد اختلاط العرب بالقبائل الأفريقية - منذ هذه الفترة المبكرة - كان بداية لظهور ثقافة مميزة المعالم أخذت من كل الشعبين العربي والأفريقي⁽⁴⁾.

بعد ظهور الإسلام لم تنقطع الصلات بين العرب وشرق أفريقيا، بل زادت وأصبح لدى العرب دوافع جديدة غير التبادل التجاري لاستقرار الدائم في السواحل الشرقية، وإقامة أنظمة سياسية ذات هوية عربية إسلامية⁽⁵⁾.

لذلك نستطيع القول أن الأسباب التي دفعت الإخوة السبعة إلى الساحل الشرقي لأفريقيا منها ما هو سبب عام يتعلق بالظروف العامة في الدولة الإسلامية، خاصة في الصراع الدائر في إقليم البحرين بشكل عام، والأحساء بشكل خاص، بين العباسيين وبين القرامطة، ومنها ما هو متعلق بمعرفة العرب الجيدة للساحل الشرقي لأفريقيا، بسبب عدة عوامل منها الجوار الجغرافي، وعامل المناخ الذي أسهم في قيام علاقات بين العرب وبين سكان الساحل الشرقي لأفريقيا، بالإضافة إلى العامل التجاري الذي وجه أنظار العرب إلى شرق أفريقيا منذ القدم.

تبقى نقطة جديرة بالذكر وهي أن الأوضاع السياسية في شرق أفريقيا كانت من العوامل التي شجعت الإخوة السبعة على الهجرة، والاستقرار بها، والعمل على إقامة كيان سياسي لهم بتلك البلاد، وذلك أن هذه المنطقة لم تنعم منذ القدم بوجود وحدات سياسية كبيرة تستطيع منع المهاجرين من الوصول إليها أو أن تقف عقبة في طريقهم، وكل ما كان موجوداً هنالك عبارة عن قبائل متفرقة تعيش على الساحل في قرى صغيرة لا يزيد عدد سكانها نحو ألف من السكان، وكانت ترحب بالمهاجرين، وتحسن استقبالهم؛ نظراً لما كانت تحصل عليه هذه القبائل من فوائد جمّة من وراء هؤلاء المهاجرين⁽⁶⁾.

(1) Zeo March: East Africa though con-temporary records, London, 1961, p.6.

(2) جمال زكريا قاسم: الدولة العمانية في شرق أفريقيا، حصاد ندوة الدراسات العمانية، المجلد الخامس، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1400هـ/ 1980م، ص 81.

(3) النصري محمد السمانى: انتشار وأثر الإسلام في الجنوب الأفريقي، الطبعة الأولى، الشركة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، النهضة الجديدة، (د.ت)، ص 34.

(4) رأفت الشيخ: المرجع السابق، ص 148.

(5) أحمد محمود العمري: عمان وشرق أفريقيا، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1979م، ص 41.

(6) Reuch (Richard): History of east Africa, Stuttgart, 198، ص 198، المرجع السابق، ص 198، Reuch (Richard): History of east Africa, Stuttgart, 1954, p.73.

يضاف إلى ما سبق أن أسباب خاصة دفعت الإخوة السبعة للهجرة إلى شرق أفريقيا تحديداً، وهو أنهم كانت لديهم معرفة خاصة بشرق أفريقيا، وما تتمتع به تلك البلاد من خيرات، وسلع، ومنتجات، وذلك من خلال ما سمعوه من الجنود الزنوج المتواجدين في جيش سعيد الجنابي القرامطي، حيث كان في صفوف جنده عدد من الزنوج والأرقاء؛ الذين جاءوا إلى الجزيرة والعراق في فترات متعاقبة، بالإضافة إلى ما سمعوه من أخبار تلك البلاد عن طريق التجار العرب الذين كانت لهم رحلات تجارية منتظمة مع تلك البلاد، كما أنه من الطبيعي أن الإخوة السبعة قد وصل إلى مسامعهم ما حققه سعيد وسليمان الجنديان في بلاد الزنج بعد هجرتها إليها من نجاح، مما جعلهم يختارون هذه البقعة للهجرة إليها بهدف الاستقرار، وإقامة وطن، أو دولة لهم هناك مقتفين أثر سعيد وسليمان⁽¹⁾.

- الإخوة السبعة في ساحل بنادر:

خرج الإخوة السبعة سنة (291هـ/903م) على رأس عشيرتهم، وأتوا على متن ثلاث سفن ضخمة مليئة بالمحاربين والمهاجرين الآخرين الذين تركوا الأحساء، ونزلوا بعد رحلة بحرية إلى ساحل بنادر بالصومال⁽²⁾.

ذكر جيان في هذا السياق: "أن جماعة كبيرة العدد من العرب أصلها من مدينة مجاورة للأحساء الواقعة على الخليج الفارسي بضواحي البحرين في ثلاث سفن بقصد الهجرة تحت قيادة الإخوة السبعة الذين فروا من جور سلطان تلك المدينة⁽³⁾، فهبطت تلك الجماعة على شاطئ أزان"⁽⁴⁾.

ويستدل مما ذكره جيان أن الإخوة السبعة خرجوا بأكثر عدد من أتباعهم وذويهم، حتى أنه ذكرهم بجماعة كبيرة من العرب، وأنهم نزلوا أول ما نزلوا في شاطئ أزان من ساحل بنادر. ومن خلال الوثيقة العربية التي عثر عليها البرتغاليون في مدينة "كلوة" (Kilwa)⁽⁵⁾ - في تنزانيا حالياً - عام (910هـ/

(1) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص155.

(2) رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية منذ ظهور الإسلام حتى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية، 1419هـ/1999م، ص53.

(3) جيان: سلطنة عمان وأفريقيا الشرقية، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية، ترجمة يوسف كمال باشا، الطبعة الأولى، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، 2015م، ص85-84.

(4) أزان أو أجان (Ajan): يرى البعض أنها تحريف لكلمة (النجا)، والأقرب للصواب هو أن تكون تحريف لكلمة العجم أو الأعاجم، فإنه من المعلوم أن الأعاجم هاجروا قبل الإسلام بقرون كثيرة إلى السواحل الشرقية من الصومال وانتشروا فيها، وقد استمر ذلك إلى العهد الإسلامي الذي هاجر فيه الإخوة السبعة. جيان: المرجع السابق، ص481.

(5) كلوة: كانت كلوة في العصور الوسطى مدينة عظيمة على الساحل، وأكثر أهلها من الزنوج شديدي السواد، ومن أحسن المدن وأتقنها عمارة، وهي حالياً تدخل ضمن حدود دولة تنزانيا. محمد عبد العظيم الخولي: المرجع السابق، ص139.

1505م) أمكن معرفة بعض الأخبار المهمة عن مدينة "مقدشيو" في القرون الهجرية الأولى، ومنها أخبار البعثات الإسلامية القادمة من الأحساء على متن ثلاث سفن بقيادة سبعة أخوة، نزلوا ساحل الزاهية "بنادر"، وقاموا بتأسيس مدينتي "مقدشيو" و"براوة"⁽¹⁾، وهاتان المنطقتان من أول المناطق التي وطئتا أقدامهم، وطاب لهم فيها المقام، وخضع لنفوذهم في فترة وجيزة كل الشريط الساحلي الممتد من "مقدشيو" حتى "ممبسة"؛ لدرجة أنهم وصلوا إلى أماكن لم يصلها العرب من قبلهم⁽²⁾.

احتل الإخوة السبعة ومن معهم الساحل خلال وقت قصير، ومدوا نفوذهم حتى ممبسة⁽³⁾، ولما كانوا سنة، فقد واجهتهم مشكلة مع بعض السكان الموجودين؛ الذين كانوا يمثلون هجرة سابقة، وهي هجرة الشيعة الزيدية⁽⁴⁾، وقد قاوم هؤلاء الزيدية المهاجرين الجدد حسبما وسعتهم المقاومة، ولكن الحرث تغلبوا عليهم، وهدموا قلاعهم، واستولوا على مستوطناتهم، وأجبروهم على التحرك إلى داخل أودية نهري جوبا والويبي شبيلي⁽⁵⁾.

وحول صراع الإخوة السبعة مع الزيدية. ذكر جيان: "أنه بمجرد أن حط الإخوة السبعة رحالهم في ساحل بنادر اصطدموا بالزيديين؛ الذين قد أبوا الخضوع للحكام العرب الجدد، لاختلاف مذاهبهم، فلما عجزوا عن مقاومة خصومهم هاجر الزيديون إلى داخل البلاد واختلطوا بالكفار - حسب نص جيان - وانتحلوا عاداتهم، وتزوجوا منهم، ومزجوا دمهم بدمهم، فتكون من هذا الامتزاج أمة خليطة من عرب وزنوج متوسطة بين الأمتين سواء أكان ذلك من جهة العنصر أو العقيدة، أم من جهة البلاد التي احتلوها، والتي كانت متاخمة من الجهة الشرقية للأراضي التي تخضع لسيطرة المسلمين، أما من جهة الغرب فكانت

(1) براوة: تقع براوة على ساحل بنادر جنوبي مقدشيو، ويبدو أنها لم تكن مدينة قديمة؛ حيث لم يذكرها أحد من جغرافي العرب أو رحلتهم. الحويري: المرجع السابق، ص104.

(2) غيثان جريس: المرجع السابق، ص189.

(3) ممبسة: مدينة ضخمة ذات أبنية عالية من الحجر، وذات طرقات جيدة، وهي جزيرة كبيرة بينها وبين الساحل مسيرة يومين في البحر، وهي اليوم عبارة عن جزيرة على الساحل تتبع جمهورية كينيا تقع على بعد 150 ميلاً شمال زنجبار. محمد عبد العظيم الخولي: المرجع السابق، ص134، 133.

(4) هجرة الشيعة الزيدية: يعد الشيعة الزيدية هم أتباع الإمام زيد بن علي - زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، وكان الإمام زيد خرج بالثورة على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عام (121هـ/ 739م) بالكوفة، وكانت النتيجة هو فشل الثورة وقتل الإمام زيد نفسه، وفر أتباعه بعد مقتله، وهاجر بعضهم إلى الساحل الشرقي لأفريقيا؛ حيث استقروا في ساحل بنادر، وتحديداً في شنجايا (في موقع مدينة بورت دانفورد الحالية)، ثم أتت هجرات أخرى من الزيدية، واتسع ملكهم، وحكموا ساحل بنادر حوالي مائتي سنة، عملوا فيها على نشر الإسلام بين السكان المحليين ثم ما لبثوا أن اندفعوا داخل بلاد الصومال نتيجة هجرة الإخوة السبعة الذين وفدوا إلى ساحل بنادر وأجبروهم على النزوح إلى الداخل. رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية، ص52.

(5) رجب محمد عبد الحليم: العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام، ص217، 216.

متاخمة لأراضي أبناء تلك البلاد، فكان هؤلاء المختلطون من سماهم العرب بالببدو وعرف الزيدية في تلك البلاد باسم إموزيديج، والتي تعني أمة زيدية، أو لعلها كلمة سواحيلية محرفة عن هذا المعنى⁽¹⁾.

ومن المرجح أن هؤلاء المخططين هم من عناهم الرحالة البرتغاليون باسم "المورز" (Moors) تمييزاً لهم عن الزوج الخالص⁽²⁾.

وطبيعي أن وجود الزيدية في عمق الصومال أدى إلى اختلاطهم وتزاوجهم مع الأهالي، مما أدى إلى نشر العروبة والإسلام بينهم⁽³⁾.

بسط الإخوة السبعة نفوذهم على كل ساحل بنادر بعد أن قاموا بتأسيس "مقدشيو"⁽⁴⁾ التي جعلوها عاصمة لدولتهم الجديدة، فامتد نفوذهم حتى جنوبي ممبسة، وربما وصلوا إلى جزيرة "مدغشقر"، وقد وصف المسعودي هذه الجزيرة في عهد سيطرة الإخوة السبعة على تلك الأماكن، وذكر أن فيها قوماً من المسلمين غلبوا على هذه الجزيرة، وسبوا من كان فيها من الزنج، كغلبة المسلمين على جزيرة "أفريطش" في البحر الرومي⁽⁵⁾.

لم تمض فترة طويلة على استقرار الإخوة السبعة في ساحل بنادر حتى صار كل الساحل سنياً على المذهب الشافعي، وذلك بعد أن اصطدم الإخوة السبعة بالشيعية الزيدية الذين اضطروا للانسحاب إلى الداخل - كما سبق ذكره - ولا يزال المذهب الشافعي هو السائد في بلاد شرقي أفريقيا، وقد اكتفى الإخوة السبعة على بسط نفوذهم في المنطقة الساحلية فقط، إذ إن الداخل لم يكن معروفاً لديهم، وإما لأنهم يجهلونه، أو لصعوبة التوغل، فسيطروا على الساحل ريثما يتم لهم كشف مجاهل أفريقيا المختلفة، وكان من نتيجة هذه الهجرات أن بسطت مقدشيو نفوذها، وساعدت العرب المسلمين على إنشاء مواطن استقرار على طول الساحل الممتد من مقدشيو في الشمال إلى مدينة سفالة⁽⁶⁾ في الجنوب⁽¹⁾.

(1) جيان: المرجع السابق، ص 85.

(2) راجية محمد عفت: الثقافة العربية في شرق أفريقيا، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1980م، ص 42؛ Freeman (Grenville): The medieval History of the coast of Tanganka, Oxford, 1962, p.31.

(3) رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية، ص 52.

(4) مدغشقر: تقع جزيرة مدغشقر (ملاجشي) في غرب المحيط الهندي، ولا يفصلها عن ساحل أفريقية سوى مضيق موزمبيق؛ حيث لا تزيد المسافة بين رأس سانت أندرية وبين ساحل القارة عن أربعمائة كيلو متر. الحويري: المرجع السابق، ص 130.

(5) المسعودي: المصدر السابق، ج 1، ص 106.

(6) سفالة: إقليم من أفريقية تمتد سواحلها فيما يلي مصب نهر زمبير جنوباً، وقد اختلفوا في رسم هذا الاسم، فهناك من كتبه سوفالا وآخرين كتبه سفالية، وفريق ثالث يعبر عنه بأرض السفال. جيان: المرجع السابق، ص 444.

يذكر أنه في عهد الإخوة السبعة بدأت سفن مقدشيو تتردد على سفاله؛ لاكتشاف مناجم الذهب واستغلاله⁽²⁾. فذكر جيان: "أما سكان مقدشيو كانوا أول من وصلوا إلى بلاد سفالية بسفنهم، واستخراج الذهب منها، وكان عثورهم على شاطئ سفالية بطريق المصادفة، على أثر هياج العواصف وإلقائها بإحدى سفنهم على هذا الشاطئ"⁽³⁾.

حكم الإخوة السبعة ساحل بنادر فترة لا تقل عن السبعين عام - واستمر الحكم بعد ذلك في أبنائهم حتي عام (495هـ / 1101م) - وإليهم يرجع الفضل في إنشاء مدينة مقدشيو - كما سبق ذكره - فظلت هذه المدينة تتزعم الحركة الإسلامية والمد الإسلامي فترة طويلة خلال العصور الإسلامية المختلفة في تلك المنطقة.

نجح الإخوة السبعة في إحكام سيطرتهم على ساحل بنادر، ومنذ الوهلة الأولى لوجودهم في تلك البلاد مد نفوذهم إلى الأماكن المجاورة؛ حيث سيطروا على مركة (Maraka)⁽⁴⁾، ذات الموقع الجغرافي المتميز؛ حيث تقع على الطريق بين شمال الصومال وجنوبها، وفي الوقت نفسه تقع على الطريق البحري التقليدي بين زنجبار وبلاد العرب⁽⁵⁾.

تعد مركة من مجموعة المدن التي سكنها العرب منذ القدم، بل وينسب البعض تأسيسها إلى مجموعة من العرب استوطنها زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ / 685-705م)⁽⁶⁾، واستمر الوجود العربي بها حتى سيطر عليها الإخوة السبعة، وجعلوها من أكبر مراكزهم السياسية، وذكر أبو الفداء أن: "مركة أهلها مسلمون"⁽⁷⁾، مما يدل على انتشار الإسلام بشكل واضح بين عدد من سكانها، وذكر ياقوت أن مركة هي مدينة لبربر السودان⁽⁸⁾، ويقصد بذلك الصوماليين الذين كانت بلادهم تسمى

(1) غيثان بن علي بن جريس: العرب وأثرهم في الأوضاع السياسية والثقافية في مقدشيو في العصور الوسطى، مجلة العرب، العدد الثالث، 2007م، ص188.

(2) راجية محمد عفت: المرجع السابق، ص42.

(3) جيان: المرجع السابق، ص86.

(4) مركة: تعد مركة من أكبر الإمارات التي خضعت لسيادة مقدشيو في عهد الإخوة السبعة، وكانت مركة عبارة عن مركز لتجمعات عربية نسب البعض تأسيسها إلى زمن الخليفة عبد الملك بن مروان، وهي تقع على ساحل بنادر بين شمال الصومال وجنوبه من ناحية وبين زنجبار وبلاد العرب من ناحية أخرى. غيثان جريس: المرجع السابق، ص193، 192.

(5) غيثان جريس: المرجع السابق، ص192.

(6) غيثان جريس: المرجع السابق، ص192.

(7) أبو الفداء (إسماعيل أبو الفداء، ت 732هـ/م): تقويم البلدان، باريس، 1830م، ص162.

(8) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص109.

بلاد الزيلع⁽¹⁾ نسبةً إلى جزيرة زيلع، وكذلك كانت تعرف ببلاد البربر، نسبةً إلى مدينة بربرة الصومالية، وكانت بلاد الزيلع أو بلاد البربر تمتد من زيلع إلى مقديشو، وما وقع من مدن جنوبها مثل مركة⁽²⁾.

شيد الإخوة السبعة في مركة مسجدًا كبيرًا صار فيما بعد مركزًا لكثير من الأسر الصومالية، ومنذ ذلك الوقت أصبحت مركة مركزًا لجذب الهجرات العربية المتتابة، حتى أن العديد من الأسر الموجودة حاليًا تدعى نسبةً إلى الجماعات العربية الأولى التي جاءت إلى مركة من بلاد العرب⁽³⁾.

أدت مركة في عهد الإخوة السبعة نظرًا لموقعها الجغرافي المتميز دورًا بارزًا في نشر الدعوة الإسلامية على طول الساحل الصومالي وفي الأقاليم الداخلية⁽⁴⁾.

استمر نفوذ الحرث من سلالة الإخوة السبعة على ساحل بنادر حتى عام (495هـ/ 1101م)، وروى العيدروس أن في هذا العام اجتمعت القبائل الصومالية في المكان المعروف بالمللملة؛ الذي بنى عليه- فيما بعد- المسجد المعروف بأربع أركان، وتشاورا في اختيار سلطان عليهم، واختلفوا في البداية، وأرادوا أن يولوا أبا بكر فخر الدين سلطانًا عليهم، وأن يكون بنو قحطان خلفاء له على أن يحتفظ بمنصب القاضي الشرعي، ويقوموا على عقود النكاح والزواج، واستمر حكم هذا السلطان سبعة عشر سنة حتى توفي عام (511هـ/ 1117م) عمل أثناءها في تطوير البلاد اقتصاديًا واجتماعيًا⁽⁵⁾.

ويرى البعض أن السلطان أبا بكر فخر الدين من سلالة الإخوة السبعة، وأن إعلانه سلطانًا يضع نهاية لعهد مجلس المشيخة والمتمثل في مجلس المدينة⁽⁶⁾.

ثالثًا: الدور السياسي والحضاري للإخوة السبعة في ساحل بنادر:

بعد أن تغلب الإخوة السبعة على الصعاب التي واجهتهم في بداية أمرهم بدأوا في وضع الأسس المختلفة والتشريعات التي تكفل لهم الاستقرار والحياة الآمنة، فتكوّن مجلس من كبار القبائل العربية هناك، وأعضاؤه اثنا عشر شخصًا، يرأسهم شيخ، لا يحمل لقب سلطان أو ملك، ويسمى هذا المجلس باسم "مجلس المدينة"، وكان هذا أفضل نظام طبقه العرب المسلمون في ساحل بنادر، وتمتع هذا المجلس

(1) المقرئزي (تقي الدين أحمد بن علي): الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، القاهرة، 1895م، ص26؛ رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية، ص238.

(2) ابن سعيد المغربي (أبو الحسن على بن موسى 610-673هـ/ 1214-1275م): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، الطبعة الأولى، بيروت، 1970م، ص67؛ رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية، ص238.

(3) رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية، ص238.

(4) غيثان جريس: المرجع السابق، ص193.

(5) العيدروس: المرجع السابق، ص57؛ رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص251، 252.

(6) غيثان جريس: المرجع السابق، ص192.

بكل السلطات، وله حق النظر في القضايا المدنية والجنائية وفض المنازعات، وتكون بجانب هذا المجلس عدة مجالس فرعية أخرى في كل حي من أحياء مدينة مقدشيو، وهي في شكل طائفة تخضع لشيخها الذي يتولى أمرها، ويقوم بإكرام الغرباء وقضاء حاجاتهم⁽¹⁾.

كان هناك نوع من الترابط بين السكان العرب والصوماليين، وبموجب اتفاقية أبرمت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بين العرب والفرس من جهة، والقبائل الصومالية من جهة أخرى، وتكوّن اتحادًا على صورة مجلس من أشرف القبائل وأعيانها للنظر في أمور البلاد، والقبائل التي تكوّن منها ذلك الاتحاد كانت نحو تسع وثلاثين مجموعة وهي مجموعة قبائل عربية وفارسية وأفريقية⁽²⁾.

كان من اختصاص هذا المجلس حفظ الأمن، وتطبيق العدالة بين الجماعات، ووضع حد لهجمات بعض القبائل الرعوية الصومالية على التجار من العرب والفرس، وبالتالي مواجهة أي غزو قد تتعرض له مقدشيو من ناحية البحر، وتم هذا الاتحاد بعد أن أصبحت مقدشيو عاصمة لساحل بنادر؛ الذي ضم هذه المشيخة وإماراتها التابعة لها مثل مركة وبراو، هذا بالإضافة إلى الأراضي المحيطة بهم، وكان يطلق على جميع هذه الأراضي "مقاديش"، وعرف أحيانًا سكان هذه الجهات باسم سكان بنادر وبضائعهم باسم بضائع بنادر⁽³⁾.

كان لهجرة الإخوة السبعة إلى ساحل بنادر نتائج بعيدة الأثر في تاريخ المنطقة على مدى قرنين من الزمان، فالإخوة يرجع الفضل في تأسيس مدينة مقدشيو، ومن ثم أصبحت مشيخة تزعمت الساحل الشرقي لأفريقيا لفترة طويلة⁽⁴⁾، كما يرجع إليهم الفضل في تأسيس مدينة براوة⁽⁵⁾، والعمل على نشر الإسلام والعروبة بالمنطقة، أما ما يخص تأسيس مدينة مقدشيو، فقد ذكر بعضهم نقلًا عن دي باروس (De Baros)⁽⁶⁾ في وصف لمقدشيو أن تأسيسها تم على أيدي جماعة عربية من الأحساء هم جماعة الأخوة السبعة، وأصبح لها وزنها وكيانها ولها نظمها، وأصبحت مركزًا يتجمع فيه كل المسلمين الوافدين إليها من

(1) غيثان جريس: المرجع السابق، ص 191؛ رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص 248.

(2) غيثان جريس: المرجع السابق، ص 191.

(3) الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص 173؛ العيدروس: المرجع السابق، ص 56.

(4) راجية محمد عفت: المرجع السابق، ص 41.

(5) المسعودي: المصدر السابق، ج 1، ص 98.

(6) دي باروس (De Baros): رحالة اسكتلندي حاول استكشاف منابع النيل فلم ينجح في ذلك، وتوفي سنة 1794م.

جيان: المرجع السابق، ص 444.

كل جهات الساحل⁽¹⁾، وليس معنى هذا أن الأخوة السبعة هم أول من عرفوا هذه البقعة من ساحل بنادر، وإنما سبقهم إليها عرب آخرون وصلوا إليها بعد عام (122هـ/740م)⁽²⁾.

ويؤكد ذلك وجود وثائق عربية تؤكد على الوجود العربي بساحل بنادر قبل تاريخ تأسيس مقدشيو بفترة كبيرة؛ حيث عثر على مقابر يعود تاريخها إلى بداية العصر الإسلامي، وفيها خط عربي يعلوه "بسم الله الرحمن الرحيم" هذا قبر سيدة تدعى "فاطمة بنت عبد الصمد يعقوب" المتوفاة عصر يوم السبت 22 جمادى الأولى سنة 101هـ وآخر على قبر سيدة تدعى "خديجة بنت مقدم محمد" المتوفاة في 5 ذي الحجة سنة 138هـ⁽³⁾.

ويؤكد ذلك أيضا العثور على وثيقة نسب إلى رجل يسمى إسماعيل بن عمر بن محمد، ورد فيها أن هذا الرجل من بني عفان، وأنه نزل إلى ساحل بنادر عام 149هـ، ووثيقة أخرى لرجل يسمى عقب بن محمد بن إبراهيم من قبيلة كنانة من مكة⁽⁴⁾.

هذا يعني أن ساحل بنادر عرفه العرب، واعتنق كثير من أهله الإسلام بطبيعة الحال على أيديهم، بل أن هذا الساحل عرفه العرب قبل ظهور الإسلام نفسه.

أرجع بعضهم تاريخ إنشاء الإخوة السبعة لمقدشيو إلى عام (295هـ/907م)⁽⁵⁾، في حين ذكر البعض البعض الآخر أن تأسيس المدينة يعود إلى سنة (300هـ/913م) اعتماداً على رواية دي باروس الذي أضاف أن علي بن حسن الشيرازي⁽⁶⁾ مؤسس سلطنة الزنج الإسلامية في كلوة⁽¹⁾ عام (365هـ/

(1) جيان: المرجع السابق، ص86؛ غيثان جريس: المرجع السابق، ص189.

(2) هاجر بعض الزيدية إلى ساحل بنادر بعد عام (122هـ/740م)، ومنهم من هاجر عام (149هـ/766م)، وأشار العيدروسي إلى تسعة وثلاثين قبيلة وصلت إلى هذا الساحل من حضرموت واليمن وغيرها في ذلك التاريخ. انظر العيدروسي بن علي العيدروسي: بغية الآمال في تاريخ الصومال، مقدشيو، 1955م، ص42؛ رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية، ص224.

(3) صالح علي محمود: صفحات من تاريخ مقدشيو، مركز مقدشيو للبحوث والدراسات، (د.ت)، ص3.

(4) صالح محمود: المرجع السابق، ص5؛ جامع عمر عيسى: مقدشيو ماضيها وحاضرها، مقدشيو، 1979م، ص21.

(5) رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية، ص224؛ عميد أ.ح. محمد فريد سيد حجاج: صفحات عن تاريخ الصومال، دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص7.

(6) علي بن حسن الشيرازي، تزعم هجرة فارسية خرجت من مدينة شيراز من بلاد فارس إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، وذلك سنة 346هـ/957م، وتألقت هذه الهجرة من نحو ألف ومائتي رجلاً وصلوا إلى الساحل الشرقي على متن سبع سفن، ونزلوا في عدة أماكن حتى استقروا في كلوة، ونجحوا في تأسيس إمارة لهم هناك. محي الدين الزنجباري: السلوة في أخبار كلوة، تحقيق محمد علي المصليحي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1985م، ص30.

975م⁽²⁾ قد مر بمقدشيو فعلاً، إلا أن المقام لم يطب له فيها، لوجود جاليات عربية متعددة، فواصل زحفه حتى وصل إلى جزيرة كلوة حيث أسس له مملكة إسلامية هناك، كان العنصر الفارسي فيها هو دعامتها وسندها، ويذكر أيضاً أن بعض المهاجرين العرب قد هاجروا من عمان إلى ساحل أفريقية الشرقي، وأن قبيلة الحارث أدعت تأسيس مراكز لها في مقدشيو وبرأوة⁽³⁾.

مهما يكن من أمر فإن مدينة مقدشيو أسسها جماعة الإخوة السبعة فيما بين عامي (295هـ/907م، 301هـ/913م)، وذكر ياقوت أن: "مقدشيو مدينة في أول بلاد الزنج في جنوب اليمن في بر البربر في وسط بلادهم"⁽⁴⁾، وقال أبو الفداء: "أن مقدشيو تطل على بحر الهند، وأهلها مسلمون، ولها نيل عظيم يشبه نيل مصر في زيادته في الصيف... وأنه يخرج شقيفاً لنيل مصر من بحيرة كورا، ويصب بالقرب من مقدشيو في بحر الهند"⁽⁵⁾، وذكر أيضاً أن: "مقدشيو مدينة كبيرة بين الزنج والحبشة"⁽⁶⁾. وذكر ابن سعيد عن مقدشيو: "ومن شرقي خافوني على البحر مدينة مركة وأهلها مسلمون، وهي قاعدة (الهاوية) التي تزيد على خمسين قرية، وهي على شاطئ نهر يخرج من نيل مقدشيو، ويصب على مرحلتين من المدينة في شرقها، ومنه فرع يكون خوراً لمركة، وفي شرقي ذلك مدينة الإسلام المشهورة في ذلك الصقع المترددة على أسنة المسافرين، وهي مقدشيو"⁽⁷⁾.

تقع مقدشيو على الساحل الغربي لبحر الهند (المحيط الهندي)، ويحيط بها المياه من جهتي الشرق والجنوب، وأقيمت في المنطقة المواجهة على طول الشواطئ، ومن الواضح أن جماعة الإخوة السبعة قد تخيروا المكان عندما أرادوا إنشاء مدينة لهم؛ حيث كان موقع مقدشيو ملتقى الهجرات العربية إلى ساحل بنادر في العصور الإسلامية⁽⁸⁾.

ظهرت مقدشيو منذ اللحظة الأولى لتأسيسها كمدينة تجارية، إذ يعد موقعها من أصلح مواقع الساحل لرسو السفن، وقد عرفه المصريون القدماء، وأهل بابل، وأشور، والفينيقيون، والرومان، وقد عرفه

(1) كلوة: تعد مدينة كلوة جزيرة صغيرة على مقربة من ميناء دار السلام الحالي. انظر محمد عبد العظيم الخولي: العرب ودورهم الحضاري في شرق أفريقيا، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1432هـ/2011م، ص25، هامش (1).

(2) غيثان جريس: المرجع السابق، ص189.

(3) نفسه.

(4) الحموي: المصدر السابق، ج5، ص109.

(5) أبو الفداء: المصدر السابق، ص132.

(6) نفسه.

(7) ابن سعيد: المصدر السابق، ص67.

(8) صالح علي محمود: المرجع السابق، ص2.

الرومانيون باسم "سرابيون" (Serabion)، وعرف في العصور الوسطى باسم "حمر" (Xamar) أي أرض الذهب، وقد أتاح لها هذا الموقع القريب من عدن السيطرة إلى حد كبير على حركة التجارة في المحيط الهندي⁽¹⁾.

أصبحت مقدشيو في عهد الإخوة السبعة سلطنة قوية ذات شوكة، ونفوذ، ونظام سياسي، ورسوم إدارية، وأضحت صاحبة السيادة على كل سكان ساحل بنادر، وأصابته قدرًا عظيمًا من الثروة والجاه، حتى قال عنها ابن سعيد المغربي: "مدينة الإسلام المشهورة في ذلك الصقع المتردد على أسنة المسافرين"⁽²⁾، وفي عهد الأخوة السبعة نمت ثروة مقدشيو، وازدهرت ازدهارًا منقطع النظير، وأصبحت عاصمة لجميع البلاد المجاورة⁽³⁾.

اختلفت الآراء حول تفسير كلمة مقدشيو، فهناك من قال إن الاسم مركب من كلمتين عربية وفارسية، هما "مقعد" العربية، و"شاه" الفارسية، إشارة إلى المكان المفضل الذي اتخذته الحاكم مقرًا لحكمه، ونطق الكلمتين معًا بعد تعرض الاسم لعوامل التحريف فصار "مقدشيو"⁽⁴⁾.

وهناك رأي آخر يقول أن مقدشيو تعني (مقعد الشيخ) أو (مقعد الشيوخ)، ويؤكد أصحاب الرأي على ذلك بما ذكرها ابن بطوطة أن سلطان مقدشيو يقال له "الشيخ"، وتلك عاداتهم في مخاطبته أو الحديث عنه⁽⁵⁾.

وقيل أن الكلمة يمكن أن تكون مركبة من كلمتين عربيتين هما (مقعد) ويراد بها المكان، و(شاه) تعني الأغنام، وتركيبها "مقعد الغنم"⁽⁶⁾، وربما يوحي هذا الاسم إلى الثروة الحيوانية الهائلة التي تميزت بها مقدشيو، كما ذكر ابن بطوطة أن: "أهالي مقدشيو لهم ثروة حيوانية هائلة، فقال: "وأهلها لهم جمال كثيرة، وينحرون منها المائتين في كل يوم، ولهم أغنام كثيرة"⁽⁷⁾، وطبقًا لأصحاب هذا الرأي أن الاسم لا يبعد أن

(1) نفسه، ص 4.

(2) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 267؛ صالح علي محمود: المرجع السابق، ص 5.

(3) صالح علي محمود: المرجع السابق، ص 5؛ محمد عبد الله النقيرة: انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ، الرياض، 1982م، ص 183.

(4) عيدروس بن الشريف علي: المرجع السابق، ص 32.

(5) ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج 2، المكتبة العصرية، بيروت، 2015، ص 262؛ رجب عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص 225.

(6) عمر المشري محمد: بلاد القرن الأفريقي، الطبعة الأولى، مطبعة وحدة الكتاب، طرابلس، 2008م، ص 177؛ صالح علي محمود: المرجع السابق، ص 7.

(7) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج 2، ص 262؛ صالح محمود: المرجع السابق، ص 7.

أن يكون عربي الأصل، فسواء كان يعني مقعد الشيخ أو الشيوخ، أو يعني مكان بيع الشاه والأغنام، فهو اسم عربي، وترجيح ذلك أن الفرس لم يكن لهم هناك حكم في فترة من فترات الصومال، وإن كان هناك بطبيعة الحال بعض التجار أو المعماريين الفرس الذين بنوا بعض المساجد أو المنازل على الطراز الفارسي، مما جعل البعض يعتقد أن الفرس قد حكموا مقدشيو في بعض الفترات على يد بعض أفراد الأسرة الشيرازية التي هاجرت تحت قيادة علي بن حسن الشيرازي إلى جزيرة كلوة عام (365هـ/ 975م)، وامتد نفوذهم إلى مقدشيو، وهو أمر لم يثبت تاريخياً، فصاحب كتاب السلوة في أخبار كلوة لم يذكر شيء عن هذا الأمر، كما أنه لم يذكر اسم مقدشيو في أي صفحة من صفحات الكتاب. هذا من ناحية ومن ناحية ثانية هناك رواية تقول بأن هناك الشيرازيين المهاجرين تحت قيادة حسن بن علي الشيرازي أو ابنه على لم يستطيعوا أن ينزلوا مقدشيو، إذ إنها امتنعت عليهم فاتجهوا جنوباً إلى كلوة، وأسسوا فيها دولتهم، ولم يفعلوا ذلك لأن أهل مقدشيو كانوا يختلفون عنهم في المذهب، فهم شافعية، والوافدون الشيرازيون كانوا شيعة، بل لما كانت هذه المدينة من قوة وتحصين، جعلها صعبة المنال على هؤلاء الوافدين الجدد، وعلى غيرهم الذين أتوا بعدهم من البرتغاليين⁽¹⁾.

ويرى آخرون أن الاسم صومالي بحت حيث يعتقدون أن كلمة مقدشيو هي صومالية مركبة من كلمتين صوماليتين هما (موق) يعني المنظر، و(ديشو) يعني تغير فنكون (Muqadisho) بمعنى أن الأهالي الذين كانوا يعيشون في ريف المدينة يودعون تجارها المسافرين إلى المدينة؛ حيث يرجع التاجر وهو متغير المنظر لإصابته بمرض الملاريا بسبب المستنقعات المائية فيها، وأن الأهالي يدعون الله أن يرجع المسافر سالمًا، ويقرعون عليه القرآن خوفاً من إصابته بالملاريا، وهذا الاسم جاء من هذه الكلمة، وهذا ما يؤيده بعض الباحثين الصوماليين⁽²⁾.

وهناك رواية صومالية أخرى تذكر أن اشتقاق اسم مقدشيو مركب من كلمتين صوماليتين هما موق (Muq) بمعنى العذب، وديشو (Disho) بمعنى الهواء، وتركيبها مقدشيو (Muqadisho) الهواء العذب⁽³⁾.

(1) رجب عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص225، 226.

(2) صالح علي محمود: المرجع السابق، ص6.

(3) وهناك من يرى أن اسم مقدشيو مشتق من كلمتين صوماليتين "مقد" و"شيو" (Mugdisho)، حيث كان موقع مقدشيو بمكان مرتفع ولامع، وبأخذ ضوءها من النجوم، لذلك لم تكن مقدشيو مظلمة في منخفضات دنيا، لذلك أطلق عليها أهلها بمقدشيو، وأن الكلمة مازالت تنطق بتحريف بسيط (مقدشيو). غيثان جريس: المرجع السابق، ص190؛ صالح علي محمود: المرجع السابق، ص7.

ومهما يكن من أمر فسواء أكان أصل اسم مقدشيو عربيًا أو من أصل صومالي، فهي مدينة عربية، وبنائها الإخوة السبعة من بني الحارث، وقد بنوها في موقع لهم على ساحل بنادر بأرض الصومال الجنوبي، إذ أقاموها فوق التلال المواجهة لساحل المحيط الهندي، مما جعلها حصينة الموقع، وزادوا في تحصينها بأن أحاطوها بسور مبني من الحجر، مما زاد من مناعتها، كما أنها كانت تقع جنوب انحناء نهر الويبي شيبلي حينما كانت تتجه إلى الجنوب الغربي، وامتد نفوذها وسلطانها على المدن العربية الأخرى التي بناها الإخوة السبعة، والتي تقع بين النهر الويبي شيبلي، نهر مقدشيو كانت تسيطر على أغنى منطقة في أرض النهرين المذكورين، مما جعل هذه المنطقة أكثر مناطق الصومال كثافةً من حيث التركيز السكاني، وبالتالي ازداد فيها العمران سواء في مقدشيو أم في غيرها من المدن التي تقع على هذا الجزء من ساحل الصومال⁽¹⁾.

أما عن أقسام المدينة وأحيائها، فقد كانت مقدشيو في بداية نشأتها تتكون من ضاحيتين أساسيتين هما: ضاحية "حمروين" وضاحية "شبقاني"⁽²⁾، وكانت ضاحية "حمروين" تمتد على طول الساحل من "كران" إلى ساحل "حمر" أي المكان المعروف باسم (حمرجب) أما ضاحية "شبقاني" فهي مشتقة من اسم حي شبقان كان في مدينة نيسابور⁽³⁾ ببلاد فارس.

كتب الغربيون مقدشيو بأشكال مختلفة، ومنها موجاديشو (Mougdishu)، وموجديشو (Mougidisha)، وموجديسكو (Mougoudiskaa)، وبهذه الصورة تعددت طرق كتابتها عند الغرب، كل يكتبها حسب نطقه. غيثان جريس: المرجع السابق، ص265.

أما البرتغاليون الذين استولوا على بعض المدن الصومالية أيام غزوهم سواحل أفريقيا الشرقية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي فقد أسموا مقدشيو ب (Mogadixo) وهي أقرب لفظ إلى العربية ذكره الغربيون إلى هذا الاسم، لأنه حرف (x) اللاتيني في اللغتين البرتغالية والأسبانية ينطق به كحرف الشين العربي. عيدروس: المرجع السابق، ص32؛ صالح علي: المرجع السابق، ص7، 8.

- (1) رجب عبد الحليم: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية، ص226، 227.
- (2) شبقاني: يقال أن الاسم شبقاني مشتق من اسم حي في مدينة نيسابور ببلاد خراسان، وكان يسمى شبقاني، والسبب في ذلك أن مجموعة من العلماء النيسابوريين جاءوا إلى ساحل بنادر، ولاسيما مدينة مقدشيو، وسكنوا هذا الحي في بداية الأمر، وتقديرًا لهؤلاء العلماء، وتخليدًا لذكورهم سمي المكان بشبقاني. صالح محمود: المرجع السابق، ص14؛ محمد حسين معلم: الثقافة وروادها في الصومال، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 2011م، ص215.
- (3) نيسابور: بفتح النون وسكون الياء من تحتها باثنتين وفتح السين المهملة وبعد الألف ياء موحدة وفي آخرها الراء. انظر ياقوت: المصدر السابق، ج5، ص331. واسمها بالفارسية ينطق نيشابور، وهي في العربية نيسابور، وهو مشتق من نيوشاه بور في الفارسية القديمة، ومعناها شيء أو عمل أو موضع سابور، إحدى مدن خراسان الكبرى، وعاصمتها لفترات طويلة. قحطان عبد الستار الحديثي: أرباع خراسان، البصرة، 1990م، ص219.

سميت بهذا الاسم تخليدًا لذكرى أهل نيسابور القاطنين في مقدشيو، وكلمة حمروين مركبة من كلمتين إحداهما عربية وصومالية، ف (حمر) معناها ذهب، وكلمة (وين) معناها بالصومالية كثير أو كبير⁽¹⁾.

تميزت مقدشيو في عهد الإخوة السبعة بالغنى والثراء المادي خاصةً بعد وصولهم إلى ميناء سفالة، وجلب الذهب منه، فقد درت عليهم هذه التجارة كثيرًا من الأموال التي استفادوا منها في تطوير مدينتهم، فحلت المنازل المشيدة بالأحجار على الطراز العربي محل المباني الخشبية ومحل المساكن المتخذة من القش المغطى بجلود الحيوانات التي كانت من صناعة المهاجرين الأوائل من الزيدية الذين هاجروا إليها بعد مقتل الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عام (122هـ/ 740م)⁽²⁾.

سكن العرب في مقدشيو حي حمروين الذي كانت مبانيه على الطراز العربي الإسلامي، وازدانت منازلها بأبواب ونوافذ ذات نقوش جميلة رائعة فنًا وذوقًا⁽³⁾، أما حي شنقاني - سابق الذكر - فإنه كان يقع على الساحل من الشرق من حي حمروين، ومنفصل عنه بسور مرتفع، وسكنه العرب أول الأمر، ثم هاجرت إليه جماعات فارسية من نيسابور وسكنته، وبمرور الوقت امتزجت لغة هذه الجماعات بلغة العرب، وتولدت لغة تجمع ما بين لغة العرب ولغة الفرس، وكانت بيوتهم مبنية على الطراز العربي في نظامها ونقشها، وظلت عاداتهم أكثرها عربية، ولم يبدلوا إلا شيئًا يسيرًا⁽⁴⁾، ونظرًا لغلبة العنصر العربي من ناحية العدد والنشاط والحيوية، ولأنهم كانوا يشكلون الطبقة الحاكمة، ولأن معظم تجار المدينة كانوا من العرب، فقد غلبت الصبغة العربية على سكان مقدشيو بحبيها حمروين وشنقاني، وما كاد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ينتهي إلا وكانت مقدشيو مدينة عربية وكاد الأثر الفارسي يتلاشى، ويصبح أثرًا بعد عين⁽⁵⁾، ثم توالى الهجرات العربية إليها، وسكنتها عناصر عديدة بجانب قبيلة الحرث، إذ وفد إليها عرب من اليمن وعمان، وFRS من نيسابور وشيراز، وبعض التجار الهنود، وجماعات المولودين الذين كانوا نتاج المصاهرات العديدة التي تمت بين هذه العناصر والأجناس⁽⁶⁾.

(1) غيثان بن جريس: المرجع السابق، ص 190.

(2) رجب محمد عبد الحليم: العربية والإسلام، ص 227.

(3) زين العابدين السراح: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدن الساحل الصومالي فيما بين القرنين (6-8هـ/ 12-14م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1986م، ص 55؛ رجب عبد الحليم: العربية والإسلام، ص 227.

(4) العيدروس: المرجع السابق، ص 49؛ رجب محمد عبد الحليم: العربية والإسلام، ص 228.

(5) رجب محمد عبد الحليم: العربية والإسلام، ص 228؛ زين العابدين السراح: المرجع السابق، ص 57.

(6) رجب محمد عبد الحليم: العربية والإسلام، ص 228؛ زين العابدين السراح: المرجع السابق، ص 56.

غدت مقدشيو أعظم مدن ساحل بنادر، وصفها ابن بطوطة بأنها: "مدينة متناهية في الكبر"⁽¹⁾، ووصفها ابن سعيد بأنها: "مدينة الإسلام المشهورة في ذلك الصقع والمتروك على أسنة المسافرين"⁽²⁾، ذلك أن كثيرًا من جموع الناس كانت ترد من المدن التي أنشئت على الساحل فيجتمعون في مسجدها الجامع، حيث يؤدون الصلاة⁽³⁾، مما يدل على أهمية المدينة ومركزها الديني عند سكان ساحل بنادر؛ حيث اعتبرت مقدشيو هي العاصمة الثقافية والدينية لكل الساحل، وسيدة على كل عرب الساحل لما وصلت إليه قوة ونفوذ، ولما قامت به من دور مهم في نشر العروبة والإسلام، ولم تصل مقدشيو إلى تلك المكان المتميزة إلا بعد أن تحولت من مجرد مركز تجاري على الساحل إلى سلطنة كبيرة وفدت إليها العديد من القبائل الصومالية، واختلطت بسكانها من العرب، وصار الجميع ينتسب إلى العروبة والإسلام، وتوالت على المنطقة هجرات عربية عديدة، مما زاد من انتشار الإسلام في هذه السلطنة إلى حد كبير⁽⁴⁾.

- براوة: تعد مدينة براوة ثاني المدن التي أنشأها الإخوة السبعة في ساحل بنادر جنوبي مقدشيو⁽⁵⁾، ويبدو أن براوة لم تكن من المدن القديمة بل دليل أن أحدًا من جغرافي العرب أو رحالتهم لم يذكرها⁽⁶⁾.

وهناك من يرى أن براوة إمارة عربية خضعت لحكم الإخوة السبعة وجماعتهم من بعدهم، وذكرت بعض الروايات أن الذين أسسوا براوة جماعة من المهاجرين العرب الذين وفدوا إلى البلاد زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ)، ثم جاء الإخوة السبعة من بعد ذلك، وأضافوا عليها العديد من المباني والمنشآت، ومن ثم توسعت المدينة في عهدهم، فانتشر العمران واتسع البناء، وتقع براوة في شمال نهر جوبا وجنوبي مركة⁽⁷⁾.

كانت براوة مدينة مهمة حيث اعتمدت عليها مقدشيو كوسيط تجاري بينها وبين الإمارات العربية في جنوبها⁽⁸⁾.

انقسمت براوة إلى عدة أحياء، وأكثر منازلها من الحجارة البيضاء، ومياها عذبة، ويقال إن أول من سكن براوة رجل من قبيلة قره يدعى (أوعلى) وصلها قبل مجيء الإخوة السبعة إلى ساحل بنادر، وكانت

(1) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص286؛ رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص228.

(2) ابن سعيد: المصدر السابق، ص82؛ رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص228.

(3) جيان: المرجع السابق، ص184؛ رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص228.

(4) رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص228، 229.

(5) نفسه، ص240.

(6) محمود محمد الحويري: ساحل شرق أفريقيا منذ فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1986م، ص104.

(7) غيثان جريس: المرجع السابق، ص193.

(8) نفسه.

براوة قبل ذلك الوقت منطقة موحشة غابية لا تسكنها إلا الوحوش الضارية، غير أن (أوعلى) أعجب بطبيب هوائها على ساحل البحر، فاستعان بالمواطنين الأوائل في قطع أشجارها وأعشابها، وأقام بها عددًا من المساكن أطلق عليها (براوة بن أوعلى)، ويقال إن هذا الاسم كان يطلق على ملك الجالات (براوات)، وهناك رواية أخرى تشير إلى أن بعضًا من أفراد قبيلة حاتم الطائي في الجزيرة العربية قد استوطنت براوة، وقد ازداد سكان المدينة بوصول جماعات صومالية مسلمة، عرفت باسم (التن) من سكان الساحل، وعمروا المساجد، واتسعت المدينة كثيرًا باتجاه الداخل⁽¹⁾.

خضعت براوة لحكم الإخوة السبعة، واستمرت سلالتهم فيها لفترات طويلة من الزمن، وفي عهدهم صارت براوة وكأنها جزيرة عربية يأتي إليها طلاب العلم من البوادي والأماكن النائية لشهرة علمائها وتفقههم في الدين، كما أن المدينة اشتهرت بعمارتها التي تزداد بالزخارف والنقوش والكتابات العربية⁽²⁾، وفي هذا السياق تم العثور على نقش باللغة العربية يثبت وفاة أحد المسلمين المقيمين في هذه المدينة في عام (498هـ/ 1104م)، مما يؤكد أن مجتمعًا مسلمًا متطورًا عاش في تلك المدينة منذ زمن بعيد⁽³⁾، وعلى ذلك كله فإن براوة كانت مدينة عربية النشأة، وكانت مركزًا لنشر العروبة والإسلام مثلها في ذلك مثل مقدشيو⁽⁴⁾.

أما فيما يخص جانب النشاط الاقتصادي: فقد كانت مدن ساحل بنادر - خاصةً مقدشيو - في عهد الإخوة السبعة مزدهمة بسكانها سواء التجار المحليين أو التجار الغرباء الذين كانوا يجدون كل رعاية واهتمام من سكان مقدشيو، وفي ذلك قال ياقوت عنهم: "إذا قصدهم التاجر لا بد له أن ينزل على واحد منهم ويستجير به فيقوم بأمره"⁽⁵⁾، وذكر ياقوت - أيضًا - أن المنتجات التي يحصل عليها هذا التاجر مثل الصندل، والأبنوس، والعنبر، والعاج، وغير ذلك من السلع الأخرى التي يمكن أن تكون مجلوبة إليها⁽⁶⁾، وأكد ابن بطوطة على اهتمام أهل مقدشيو بالتجار الغرباء قائلاً: "من عادة أهل هذه المدينة إنه متى وصل مركب إلى الشاطئ تصعد الصناديق، وهي القوارب الصغار إليه، ويكون في كل صندوق جماعة من شبان أهلها، فيأتي كل واحد منهم بطبق مغطى فيه الطعام، فيقدمه لتاجر من تجار المراكب إلى دار نزيلة من هؤلاء الشبان، إلا من كان كثير التردد إلى البلد وحصلت له معرفة بأهله، فإنه ينزل حيث شاء، فإذا نزل عند نزيله باع له ما عنده واشترى له، ومن اشترى منه ببخس أو باع منه بغير حضور نزيله،

(1) رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص 240.

(2) محمود الحويري: المرجع السابق، ص 104.

(3) رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص 241.

(4) نفسه.

(5) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص 173؛ رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص 265.

(6) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص 173.

فذلك البيع مردود عندهم، ولهم منفعة في ذلك⁽¹⁾، والمنزول عنده الذي أشار إليه ابن بطوطة هو ما يعرف اليوم بالسمسار الذي يشتري للناس، ويبيع لهم نظير مبلغ معين يأخذه من كلا الطرفين البائع والمشتري، وهذا ما معنى قول ابن بطوطة: "ولهم منفعة في ذلك"⁽²⁾.

وتحدث ابن بطوطة عن قوة النشاط التجاري في مقدشيو فذكر: "أن أهلها تجار أقوياء"⁽³⁾، وذكر أن أسواقها تعج بالعديد من المنتجات والسلع محلية الصنع والمستوردة من الخارج، فذكر أن مقدشيو: "تصنع بها الثياب المنسوبة إليها التي لا نظير لها، ومنها تحمل إلى ديار مصر وغيرها"⁽⁴⁾. وعن ثروتها الحيوانية التي تميزت بها مقدشيو ذكر: "وأهلها لهم جمال كثيرة ينحرون منها المئات في كل يوم، ولهم أغنام كثيرة"⁽⁵⁾، ونحر المئات من الجمال في مقدشيو دلالة على كثرة سكانها. وكانت مقدشيو تصدر العديد من الجمال والأغنام إلى البلدان المجاورة⁽⁶⁾. وذكر المسعودي أن سفن العمانيين كانت تصل إلى سواحل الصومال بشكل منتظم⁽⁷⁾، مما يوضح أن مقدشيو في ظل حكم الإخوة السبعة كانت لها علاقات تجارية خارجية منتظمة خاصة مع عمان وغيرها من البلدان العربية مثل اليمن ومصر بالإضافة إلى الهند والصين؛ حيث إن هناك إشارات تاريخية لهجرات هندية متتالية وصلت مقدشيو والصومال بشكل عام واستوطنوه في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي⁽⁸⁾. فذكر العيدروس نقلاً عن ماركو بولو أن مقدشيو: "غنية بالملابس القطنية وجلود الجمال والبقر والأغنام وغيرها"، وذكر أنه تلقى من ربانية السفن الهندية وصفاً مستفيضاً لثغور شرق أفريقيا أسموا فيه ثغر مقدشيو - نظراً لتشابه الاسم⁽⁹⁾. الاسم⁽⁹⁾.

أما فيما يخص تجارة مقدشيو مع الصين. فمن المعروف أن تجارة الصين استمرت في حركة دائبة مع شرق أفريقيا عامة وساحل بنادر بشكل خاص منذ القرن الثالث الهجري طيلة العصور الوسطى؛ حيث كان الصينيون يأخذون من ساحل بنادر البخور والجلود وريش النعام، مقابل مصنوعات خزفية وجلدية وبعض الأسلحة البسيطة⁽¹⁰⁾، وجدير بالذكر أن اسم مقدشيو تردد كثيراً في المصادر والحواليات الصينية

(1) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص286؛ رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص266.

(2) رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص266.

(3) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص286؛ رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص266.

(4) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص286.

(5) نفسه؛ رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص266.

(6) رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص266.

(7) المسعودي: المصدر السابق، ج1، ص106.

(8) رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص268.

(9) العيدروس: المرجع السابق، ص90؛ رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص268.

(10) رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص268.

التي تعود لفترة العصور الوسطى، ومنها ما حكي عن قصة بحار صيني وصل إلى الصومال، وتحدث عن مقدشيو، وأنها تمتد على الساحل، ويحيط بها سور قوي⁽¹⁾. هذا ما يؤكد على معرفة الصينيين بمقدشيو وغيرها من مدن ساحل بنادر الذي ازدهر بشكل كبير بعد هجرة الإخوة السبعة إلى تلك الجهات.

وعن الدور الثقافي للإخوة السبعة في ساحل بنادر: فتح الإخوة السبعة ساحل بنادر أمام هجرة العديد من القبائل العربية التي استقرت هناك، وحملت تلك القبائل معها دينها ولغتها، وكانوا يختلطون بالسكان، ونقلوا إلى لغات تلك البلاد الكثير من كلماتهم، خصوصاً ما كان منها متعلقاً بأمور الدين، وقد ظلت اللغة العربية في عهد الإخوة السبعة، هي لغة التسجيل والتدوين والمراسلات في العهود والمواثيق، وغير ذلك.

ومنذ فجر التاريخ والقلم العربي هو القلم المعروف في الساحل دون غيره، والمعروف أن الثقافة هي طريقة التعبير إلى اللغة، واختلطت العربية بلهجات قبائل الساحل الأفريقية لفترات زمنية طويلة، ونتج عن ذلك لغة جديدة هي اللغة السواحيلية، كما أصبح الدين الإسلامي هو أساس التشريع والقضاء ومصدر القيمة الروحية والأخلاقية في تلك البلاد⁽²⁾.

حظيت علوم الدين بنصيب وافر من العناية في ساحل بنادر في عهد الإخوة السبعة، وممن جاء بعدهم من نسلهم، واهتم أهل مقدشيو بالقرآن الكريم حفظاً وتجويداً وتفسيراً، فقد كان حظهم من هذه العلوم كبيراً، كما كان نصيب العربية جزيلاً ووافراً، مما انعكس أثر ذلك على الساحل الصومالي بشكل عام خاصة براوة التي بدت وكأنها جزيرة عربية⁽³⁾، يأتي إليها طلاب العلم من الأماكن النائية لشهرة علمائها وتفوقهم في الدين⁽⁴⁾.

جذبت مقدشيو إليها في عهد الإخوة السبعة العديد من دعاة الإسلام، فنجد منهم اسم الشيخ أبابير الذي ذكرت حوليات مقدشيو أنه جاء من الجزيرة العربية خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، واستقر في زيلع ثم دخل هرر التي أصبحت بفضل جهوده قاعدة إسلامية لنشر الدعوة في كل الساحل الصومالي⁽⁵⁾.

جدير بالذكر أن الإخوة السبعة نقلوا معهم إلى هذه البلاد بالإضافة إلى ثقافتهم وتراثهم نظام الشورى الإسلامي، وكانوا في بداية أمرهم أقرب بذلك إلى نهج الخلفاء الراشدين، ففي مقدشيو أدخلوا نظام المشيخة- كما سبق توضيحه- وهو نظام عربي قديم يعتمد على عراققة النسب والكرم والشجاعة والمروءة.

(1) نفسه، ص269.

(2) غيثان جريس: المرجع السابق، ص196.

(3) نفسه.

(4) الحويري: المرجع السابق، ص104.

(5) غيثان جريس: المرجع السابق، ص197.

لذلك أصبح الحكم في أيام الإخوة السبعة يعتمد على الشورى، وكان أساس الانتخاب لمنصب الشيخ هو السن والفضائل.

ذكر ياقوت عن سكان مقدشيو: "إنما يدبر أمرهم المتقدمون منهم"⁽¹⁾، وفي موضع آخر قال: "وهم مسلمون لا سلطان عليهم، لكل طائفة شيخ يأترون له"⁽²⁾، وبجانب منصب الشيخ، فقد وجدت مناصب أخرى رفيعة تلي الشيخ؛ حيث كان القاضي في مقدشيو شخصية مهمة من حيث الأهمية والاختصاص، وكثيراً ما تولى القاضي بنفسه وظيفة الحسبة التي انتشرت انتشاراً واسعاً على طول الساحل. وكانت مهمته المحتسب - كما هو معروف - الإشراف على الأسواق ومراقبة المكايل والموازين ومعاينة من يخل بالأمن⁽³⁾، خلاصة ما سبق أن ساحل بنادر في عهد الإخوة السبعة كان جزءاً مهماً من دار الإسلام متميزاً في إطارها نابضاً بكثر مما نبضت به الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى من ألوان الحياة الفكرية والعلمية ونظمها السياسية والاجتماعية⁽⁴⁾.

• الخاتمة

بعد استعراض هجرة الإخوة السبعة إلى ساحل بنادر في أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، كان لابد من الخروج بمجموعة من النتائج حتى تعم الفائدة من تلك الدراسة ومنها ما يلي:

- ينتمي الإخوة السبعة الذين هاجروا من الإحساء إلى ساحل بنادر في أوائل القرن الرابع الهجري إلى حرث العدنانية، وتحديداً إلى قبيلة تميم، ولم يكونوا من حرث عمان - كما اعتقد البعض.
- هاجر الإخوة السبعة من الإحساء إلى ساحل بنادر نتيجة للأوضاع المضطربة التي شهدتها الإحساء بعد قيام دولة القرامطة في إقليم البحرين.
- ساد المذهب الشافعي وانتشر في ساحل بنادر بعد أن حمله الإخوة السبعة إلى تلك البلاد، ولا يزال هذا المذهب هو السائد في بلاد شرق أفريقيا.
- يرجع الفضل إلى الإخوة السبعة في اكتشاف مناجم الذهب في سفالة واستغلاله.
- أدى الإخوة السبعة دوراً حضارياً متميزاً، فإليهم يرجع الفضل في بناء مدينة مقدشيو، وتأسيس مشيختها، بالإضافة إلى تأسيس مدينة براوة.
- تعتبر مقدشيو من أقدم المراكز التجارية وأهمها في ساحل بنادر منذ تأسيسها في عهد الإخوة السبعة.
- يعد الموقع الجغرافي لمقدشيو من المواقع الاستراتيجية المهمة، مما مكن المدينة في أن تؤدي دوراً حضارياً رائداً في المنطقة على مر العصور.

(1) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص173.

(2) نفسه.

(3) غيثان جريس: المرجع السابق، ص199.

(4) نفسه.

- نقل الإخوة السبعة إلى ساحل بنادر العديد من تراثهم الفكري العربي والإسلامي، فنقلوا معهم نظام الشورى الإسلامي، كما أدخلوا نظام المشيخة العربي.
- ازدهر النشاط الاقتصادي في ساحل بنادر في عهد الإخوة السبعة، وارتبطت مقدشيو -عاصمة الساحل في ذلك الوقت- تجاريًا بالعديد من دول العالم المختلفة مثل: عمان، والهند، والصين.
- فتح الإخوة السبعة ساحل بنادر أمام الهجرات العربية، مما كان له الأثر المباشر في انتشار الإسلام والثقافة العربية في تلك البلاد، حتى غدت جزءً مهمًا من دار الإسلام.



خريطة توضح موقع مقدشيو ومركة وبراو في ساحل بنادر في عهد الإخوة السبعة

نقلاً عن خريطة لساحل الشرقي لأفريقيا في العصور الوسطى (بتصرف)، عبد الرحمن علي السديس: تطور حركة انتشار الإسلام في شرق أفريقيا في ظل دولة البوسعيديين (1248 - 1349هـ/ 1832-1930م)، الرياض، 1407هـ/ 1987م، ص246.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- ابن الأثير (علي بن أحمد بن أبي الكرم): الكامل في التاريخ، ج4، دار صادر، بيروت، 1983م.
- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى 610-673هـ / 1214-1275م): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، الطبعة الأولى، بيروت، 1970م.
- أبو الفداء (إسماعيل أبو الفداء، ت 732هـ / م): تقويم البلدان، باريس، 1830م.
- السويدي (أبو الفوز محمد أمين البغدادي): سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، ت 821هـ / 1418م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب.
- المسعودي (أبو حسن علي بن الحسين المسعودي، ت 346هـ / 957م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.
- المقرئ (تقي الدين أحمد بن علي): الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، القاهرة، 1895م.
- محي الدين الزنجباري: السلوة في أخبار كلوة، تحقيق محمد علي المصيلحي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1985م.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت البغدادي، ت 626هـ / 1228م): معجم البلدان، ط1، ج5، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ / 1990م.

ثانياً: المراجع العربية:

- أحمد محمود العمري: عمان وشرق أفريقيا، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1979م.
- جيان: سلطنة عمان وأفريقيا الشرقية، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية، ترجمة يوسف كمال باشا، الطبعة الأولى، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، 2015م.
- رجب محمد عبد الحليم: العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين، مسقط، 1410هـ / 1989م.
- _____: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية منذ ظهور الإسلام حتى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية، 1419هـ / 1999م.

- سالم بن حمود السيابي: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، 1384هـ/ 1964م.
- سعيد سالم المعمري: سلطنة عمان تاريخ وحضارة، الطبعة الأولى، مكتبة النفائس، مسقط، 2009م.
- سليمان الخروصي: ملامح من التاريخ العماني، الطبعة الثانية، مسقط، 1995م.
- السيابي: العنوان عن تاريخ عمان، نشر على نفقة محمد بن عيسى الحارثي، (د.ت).
- صالح علي محمود: صفحات من تاريخ مقدشيو، مركز مقدشيو للبحوث والدراسات، (د.ت).
- عبد الرحمن علي السديس: تطور حركة انتشار الإسلام في شرق أفريقيا في ظل دولة البوسعيديين (1248-1349هـ/ 1832-1930م)، الرياض، 1407هـ/ 1987م.
- عبد الفتاح مقلد الغنيمي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ/ 1998م.
- عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412هـ/ 1991م.
- عمر المشري محمد: بلاد القرن الأفريقي، الطبعة الأولى، مطبعة وحدة الكتاب، طرابلس، 2008م.
- العيدروسي بن علي العيدروسي: بغية الآمال في تاريخ الصومال، مقدشيو، 1955م.
- فاروق عمر فوزي: دراسات في تاريخ عمان، منشورات جامعة آل البيت، الأردن، 1421هـ/ 2000م.
- قحطان عبد الستار الحديثي: أرباع خراسان، البصرة، 1990م.
- مايلز: الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، 1406هـ/ 1986م.
- محمد حسين معلم: الثقافة وروادها في الصومال، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 2011م.
- محمد عبد العظيم الخولي: العرب ودورهم الحضاري في شرق أفريقيا، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1432هـ/ 2011م.
- محمد عبد الله النقيرة: انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ، الرياض، 1982م.
- محمد فريد سيد حجاج: صفحات عن تاريخ الصومال، دار المعارف، القاهرة، 1983م.
- محمود محمد الحويري: ساحل شرق أفريقية منذ فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1986م.
- النصري محمد السماني: انتشار وأثر الإسلام في الجنوب الأفريقي، الطبعة الأولى، الشركة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، النزهة الجديدة، (د.ت).
- نور الدين السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج1، القاهرة، 1350هـ/ 1931م.

- يوسف بديوي: تاريخ عمان بين القديم والحديث، الطبعة الأولى، مكتبة الصفا، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1429هـ / 2008م.

ثالثاً: الدوريات:

- جمال زكريا قاسم: الدولة العمانية في شرق أفريقيا، حصاد ندوة الدراسات العمانية، المجلد الخامس، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1400هـ / 1980م.

- جمعة بن خليفة البوسعيدي: الهجرات العمانية المتعاقبة وتأثيرها داخل المحيط الأفريقي، المؤتمر الدولي "الدور العماني في شرق أفريقيا"، المجلد الأول، مركز الدراسات العمانية، جامعة السلطان قابوس، وهيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، مسقط، 2013م.

- رأفت غنيمي الشيخ: دور عمان في بناء حضارة شرق أفريقيا، حصاد ندوة الدراسات العمانية، المجلد الثالث، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1400هـ / 1980م.

- غيثان بن علي بن جريس: العرب وأثرهم في الأوضاع السياسية والثقافية في مقدشيو في العصور الوسطى، مجلة العرب، العدد الثالث، 2007م.

- هيفاء بنت أحمد المعمري: العمانيون ودورهم الثقافي في شرق أفريقيا، المؤتمر الدولي "الدور العماني في الشرق الأفريقي"، المجلد الثاني، مركز الدراسات العمانية، جامعة السلطان قابوس، هيئة الوثائق والمحفوظات العربية، مسقط، 2013م.

رابعاً: الرسائل الجامعية:

- راجية محمد عفت: الثقافة العربية في شرق أفريقيا، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1980م.

- زين العابدين السراح: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدن الساحل الصومالي فيما بين القرنين (6-8هـ / 12-14م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1986م.

- سعيد بن سالم النعماني: الهجرات العمانية إلى شرق أفريقيا في القرن الهجري الأول والرابع والسابع، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1430هـ / 2009م.

خامساً: المراجع الأجنبية:

- Freeman (Grenville): The medieval History of the coast of Tanganka, Oxford, 1962.

- Reuch (Richard): History of east Africa, Stuttgart, 1954.

- Wilkinson, (J.C): The early development of the Ibadi movement in Basra. "Studies in the first country of Islamic society, V.5, Edited by G.H. Juynboll, America.

- Zeo March: East Africa though con-temporary records, London, 1961.